علم النفس
وقضايا المجتمع

الفصل الأول

ضحايا العنف الأسري من الأطفال

الفصل الأول
ضحايا العنف الأسري من الأطفال

لقد تزايد الاهتمام بدراسة العنف الأسري والآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليه خلال السنوات العشر الأخيرة، ويكفي للتدليل علي ذلك كم المجلات العلمية والمنظمات والهيئات الحكومية والأهلية التي تصدت بالدراسة لتلك الظاهرة.

فعلي المستوي العلمي توجد مجلات ممعنة في التخصص في هذا المضمار ولعل أكثرها ذيوعاً وانتشاراً مجلة **Journal of Family violence**، والتي تعني بنشر الأبحاث التي تتناول ضحايا العنف الأسري "رصداً وتحليلاً وتفسيراً " سواء من خلال مجموعات الزوجات اللاتي يتعرضن للإساءة والانتهاك (المعنوي / الجسدي) من قبل الأزواج ، الضرب المبرح والطرد من المنزل، أو الأبناء الضحايا الذين يقعون تحت سطوه واستبداد الآباء والأمهات، أو حتى الأزواج الذين يتعرضون لسوء المعاملة والعنف من قبل الزوجات والأبناء.

والاهتمام بظاهرة العنف الأسرى لم يقف عند حد إجراء الدراسات العلمية فقطن بل إمتد الاهتمام ليشمل إشهار العديد من المنظمات والهيئات لدعم الآثار السلبية الناجمة من هذا العنف، علي

لكافة الأطراف المتضررة من آثاره وتقديم المساندة الاجتماعية والدعم النفسي لهم، نذكر منها علي سبيل التوضيح وليس الحصر.

(NCFR) National center for Family Resources

(Fvrp) Family violance research project .

(Nimh) National institute of mental Health.

إن هذا الاهتمام البحثي والمجتمعي بدراسة العنف الأسري، إنما يشير في أحد المستويات إلي مدي الخطورة المترتبة علي مثل تلك الظاهرة السلبية .

فالأبناء الذين يعاشون أجواء العنف والإيذاء البدني، قد يلجأون حينما يكبرون ويدخلون معيه الراشدين إلي محاكاة نفس المواقف السلوكية "التعلم الاجتماعي" .. ويشعرون بأنهم منبوذوين ومهمشين – الأمر الذي يدفعهم إلي السلوك الجانح ، رغبة في الانتقام عما حدث لهم إبان مراحل حياتهم الأولي، وتتعدد الدراسات البحثية في مجال العنف الأسري ، بداية من رصد المتغيرات الديموجرافية المرتبطة بالعنف الأسري " أعمار الزوجات والأزواج الذين يتعرضون للعنف ومستواهم التعليمي والاجتماعي والاقتصادي، وعدد الأبناء، ونوعية المهن، والوظائف والمناطق الجغرافية، التي يعيشون فيها، ومروراً بالدراسات التي تتناول أساليب العنف الذي يمارسه الأفراد، ونهاية بالدراسات النفسية المتعمقة للحالات المرضية، وتقديم أساليب العلاج المناسبة "علاج بيئي، علاج عقلاني انفعالي، علاج سلوكي، علاج معرفي).

ومن أكثر الدراسات ذيوعاً في هذا الصدد ما قام به Straus ١٩٨٠ ومعه فريق عمل كبير من الباحثين، وكذلك ما قام به Shulmaw 1979، حيث اشتملت الدراستان علي عينات كبيرة من الزوجات في ولاية كنتاكي الأمريكية بلغ عددها ٢٠٠٠ سيدة، وقد أسفرت المؤشرات أن ما بين ٢٠ -٣٠% من السيدات يتعرضن للعنف من قبل الأزواج، وكذلك أبنائهن بصورة متقطعة، كما أظهرت النتائج أن ١٠% من السيدات يتعرضن للعنف من قبل الأزواج، وكذلك أبنائهن بصورة متقطعة ، كما أظهرت النتائج أن ١٠% من عينة الزوجات أعربن صراحة أنهن يتعرضن لعنف الأزواج بصورة متكررة ، كما أن الإيذاء الجسدي والضرب والتحطيم كان يحدث لدي الزوجات الأصغر سناً بالمقارنة بكبيرات السن واللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠ – ٣٠ عام أطفالاً صغار (Schulman, 1979) (Straus. Et ol 1980) وفي بداية الاهتمام البحثي بموضوع العنف الزواجي كان التركيز دائماً ماينصب بشكل مباشر علي الأمهات، إلا أن الاهتمام بدأ مؤخراً بالتركيز علي الضحايا غير المنظورين وهم شريحة الأطفال الذين يعايشون تلك الأجواء المشحونة بالعنف الأسري والمشاجرات والانفعالات الغاضبة والطرد من المنزل وتحطيم الأشياء سواء عن طريق مشاهدتهم لتلك الأحداث العنيفة تقع لغيرهم، من قبيل رؤية الأطفال لمشاهد ضرب الآباء لأمهاتهم وتعنيفهن لفظياً ومعنوياً، أو

عن طريق وقوعهم الفعلي في دائرة الإيذاء البدني والمعنوي بشكل مباشر للعنف الأسري.

وقد لاحظ الدارسون الذين تناولوا الأطفال المنحدرين من أسر قاسية ويغلب عليها طابع العنف أن لديهم العديد من الأعراض المرضية من قبيل التبول اللاإرادي **Enuresis** والأحلام المزعجة **Night – mares** والاكتئاب **depression** والاضطرابات السيكوسوماتيه **Psycho – somatic** مثل الصداع والربو والقرح – وقد سجل الباحثون أيضاً بعض الأعراض الخارجية مثل نوبات الغضب الانفعالية والسلوكيات العدوانية تجاه الأخوة والأقران، علاوة علي المظاهر المتعددة للسلوك الجانح **Delinquency** والعنف البدني.

(levine, 1985) (Hilberman & Munson: 1986)
(Rounsanille & Weissman : 1987)

وهناك مظهراً آخر للاضطراب تم رصده بحثياً ويدخل ضمن سلوكيات الأطفال الناتجة عن العنف الأسري وهو أن ما يشاهده الطفل من عنف في المنزل نتيجة لاعتداء الأب علي الأم أو ضرب الأب أو الأم للأبناء قد يتكرر بعد ذلك في حياتهم.

(Herrenkohl et al 1983)

وقد خرجت بعض الدراسات الأخرى بنتيجة مماثلة حيث أتضح من خلال إخضاع مجموعة من الأطفال للدراسة الذين يعايشون أجواء العنف داخل أسرهم، خاصة العنف البدني، أن لديهم استعدادا كبيراً

لاستخدام وتفعيل العنف مع زملائهم بالمقارنة بالأطفال الذين لم يعايشوا ولم يشاهدوا مثل تلك الأحداث العنيفة.

(Telch & Lind qiuist : 1984)

وقد أشارت بعض الدراسات التي أجريت علي الأطفال الذين يعانون من بعض المشكلات السلوكية في المنزل والمدرسة والمجتمع، أنهم كانوا يشاهدون أحداثاً عنيفة في محيط الأسرة .

(Levine:1985) (Pfouts et al: 1987)

وأظهرت دراسات أخري أن مثل هؤلاء الأطفال كانوا يظهرون نوع من العدوانية "الشجار" وكانت تنتابهم نوبات غضب واضحة أكثر من الأطفال الذين لم يتعرضوا للعنف والإيذاء في المنزل، وقد أظهر الأولاد عنفاً أكثر من البنات

(Jaffe et al : 1960) (Westra & Martin, 1981) (Wolfa et al 1992)

وقد وجدت بعض الدراسات التي اهتمت بنوع الطفل الذي يتعرض للعنف الأسري بين الأبوين، أن العنف غير المباشر كان أكثر وضوحاً لدي الإناث بالمقارنة بالذكور، من حيث ميلهن للدسائس والمؤامرات والسخرية من الأخريات

(Forsstron & Rosenbaum 1990)

وإذا كانت المحاولات البحثية السابقة ركزت اهتمامها علي الخصائص الظاهرة للسلوك، فإن بعض الدراسات ركزت علي الجوانب النفسية لهؤلاء الأطفال من ضحايا العنف الأسري، من

قبيل تطبيق اختبارات الشخصية عليهم ، حيث اتضح أنهم أكثر ميلا للاكتئاب والانسحاب الاجتماعي والسلبية والانطواء .

(Hilberman & Munson :1987)

أما عن الأداء الاجتماعي لأطفال العنف الأسري فقد أشارت بعض الدراسات أن كل من الأولاد والبنات من الأسر التي تتسم بالعنف قد أظهروا مستويات منخفضة من الكفاءة الاجتماعية وعدم القدرة علي التفاعل الاجتماعي بسهوله **(Jaffe et al :1990)** علي حين أن دراسة أخري رصدت بعض الاضطرابات في الوظائف الاجتماعية مثل لعب الأدوار الاجتماعية والاستنتاجات الاجتماعية، فضلا عن عدم الالتزام بالمعايير المرجعية.

.(Hinchey &Gavelek : 1989)

أما عن الأداء المعرفي والعقلي فقد أشارت بعض الدراسات أن الأطفال الذين عايشوا أجواء العنف الأسري "مشاهدين/ معايشين) كانت لديهم أعراض سوء التركيز وصعوبات مدرسية وفشل دراسي ، وكانت معدلات قدراتهم اللفظية والإدراكية بل والحركية أقل من قرنائهم من الأطفال الذين لم يسبق لهم التعرض للعنف الأسري. **(Westra &Martin:1981)**

(Hilberman:1987)

إن هذه النتائج البحثية التي تربط بين العنف الأسري وسوء التحصيل الدراسي بكل ما يشتمل عليه من اضطراب في القدرات

العقلية، بالإضافة إلي التوتر الانفعالي، تطالبنا ونحن بصدد التعرض لقضية التحصيل الدراسي بضرورة تحقيق أعلي معدلات ممكنة من الهدوء ومشاعر الدفء والتماسك في العلاقات الأسرية، إذا أردنا لأبنائنا مستوي دراسي مّرضي، فالابن الذي يعايش أجواء المشاحنات بين الآباء والأمهات، أو بين الاخوة وبعضهم البعض، يصبح أكثر استعدادا لتفعيل مشاعر العدائية مع كل ما يصاحبها من مشاعر واتجاهات تجنح بعيداً عن التركيز والانتباه العقلي، الذي تتطلبه عمليات الاستذكار وتحصيل المعلومات.

ومن الأمور التي استوقفت انتباه الباحثين في مجال دراسة ضحايا العنف الأسري كم وكيف الضغوط التي يعاني منها الأبناء، خاصة أن الضغوط المرتبطة بسوء التوافق الأسري تمتد لتمسك ببقية الضغوط خارج نطاق العلاقة الأسرية، مثل العلاقة بالزملاء والتوافق الصفي في المدرسة والعلاقة بالمعلمين.. الخ. ففي أحد المقالات تعرض الباحث **Lysted 1988** لهذا الموضوع تحت عنوان:

Violance in the Home. A Major Problem

حيث أشار الباحث إلي الآثار السلبية للضغط الأسري الذي يلحق بالطفل من جراء سوء معاملته من قبل الوالدين، سواء بالإيذاء البدني "الضرب – التحرش– الركل – الدفع – التعذيب) أو بالانتهاك المعنوي "الإهمال – الرفض – النقد – التسخيف –

اللامبالاه – التذبذب). واعتبر الباحث أن هذا الضغط يمثل الأساس في تشكيل كافة مصادر الضغوط الفرعية الأخرى في حياة الطفل.

ويدلل الباحث على مدى صدق تلك الحقيقة بقوله أن الأطفال المنتهكة عليهم لما يواجهونه من ضغوط نفسية مثل اضطراب صورة الذات وانخفاض تقدير الذات وسوء التعامل مع التحديات الخارجية. ومما يؤكد تلك الفكرة ويدعمها ما أشار إليه الباحث Elbow 1987 في أحد مقالاته تحت عنوان:

Children of violence Marriage ; the forgotten victim

حيث يرى أن نوعية التعامل مع الطفل أسرياً قد يؤثر بالعنف على بقية جوانب تفاعل الطفل مع عالمه خارج الأسرة ويستعرض Elbow حالة طفل تعرض للإيذاء البدني من قبل الأب مما أدى إلى انسحابه الاجتماعي، وضعف تفاعلاته مع أقرانه وانخفاض مستواه التحصيلي، وانعدام المثابرة وانخفاض الدافع للإنجاز. وفي النهاية بدأت أعراض الاكتئاب في مداهمته، مما دفع بالأهل إلى مراجعة الأخصائي النفسي بحثاً عن العلاج المناسب.

ويرى Elbow من خلال عرضه لهذه الحالة أن افتقاد الطفل لمشاعر الأمان داخل الأسرة التي تمارس العنف عليه، والخوف والتوجس الدائم من إيقاع الأذى عليه كان السبب الرئيسي في اضطراب الجوانب الخاصة بذاته، وتحصيله وتفاعلاته، بل أنه

يري أن مجرد تعرض الطفل للانتهاك الأسري، يعد مصدر الضغط الأولي Primry – stress علي حين تمثل بقية المصادر الأخرى مجرد ضغوط ثانوية Secondrey – stress

وعلي الرغم من منطقية آراء كل من Lysted , Elbow إلا إننا يجب ألا نغفل أن التعميم المفرط للاعتبارات النظرية دون سند إمبريقي لها قد يؤدي في النهاية إلي عدم الثقة في مدي جدواها العلمية، ولعل ذلك ما دفع بالباحث Mcgrath 1970 إلي القول بأن العبرة ليست في الطبيعة النوعية للضغط الأسري الذي يتعرض له الطفل، وإنما في طبيعة إدراك الطفل لحجم وأثر ذلك الضغط (الضغط كما يدركه الطفل).

الأمر الذي دفع بالباحث McGrath إلي المناداه بعدم التركيز المطلق علي العنف الأسري الواقع علي الطفل واعتباره المثير والمصدر الأساسي في تشكيل بقية أنواع الضغوط الأخرى، لأن مثل هذا التسليم سوف يترتب عليه التسليم بأن قوة المثيرات التي يتعرض لها جميع الأطفال، لابد أن تفجر استجابات متساوية في الشدة والنوع للجميع، وهذا الأمر يعد مخالفاً للوقائع والشواهد الإمبريقية، فالأطفال وفقاً للباحث McGrath يتعاملون مع الضغوط الأسرية بأساليب مختلفة وفقاً لخصائصهم الذاتية، ووفقاً كذلك للطبيعية النوعية للمواقف التفاعلية التي يتم من خلالها العنف الأسري، ومدي تكرار السلوك العنيف ، ودرجة إحداثه للأثر

السلبي "الشدة" ونوعية الأسباب التي فجرت بدورها سلوك العنف وعلي ردود فعل الطفل إزاء ذلك العنف، ويري **McGrath** أن كل تلك المتغيرات تجعل التسليم بعمومة القضية الرامية إلي أن الضغط الخاص بالتعرض للعنف الأسري هو الأساس في تشكيل جميع مصادر الضغوط الأخرى أمر في حاجة إلي مراجعة .

ويري الباحث **Gardner 1980** أنه لكي يتم اختبار إستجابه الطفل للضغوط فإنه من المفيد اختبار الأحوال والظروف التي تسبب الضغوط، حيث يري أن تلك الأسباب قد ترجع في اعتقاده إلي حالتين رئيسيتين هما إخفاق البيئة الأسرية المحيطة بالطفل في إشباع متطلباته وحاجاته ، والثانية المتطلبات البيئية "خارج الأسرة" التي لايقوي الطفل علي مسايرتها، ومن ثم الوقوع تحت دائرة الضغط، وينادي **Gardner** بضرورة عدم إهمال هذين المتغيرين أثناء التصدي لقضية الضغط الذي يحدثه العنف الأسري علي الطفل.

ففي بعض الأحيان يكون الجو العاطفي في الأسرة من النوع التنافري غير المصحوب بتفعيلات عدوانية أو عنف ظاهر، ومع ذلك يترسب لدي الأبناء نفس الخصائص والسمات التي يمكن أن نجدها لدي من يشاهدون العنف المباشر ويعايشونه بالفعل.

ويري**Gardner** أن اختلاف البيئة المحيطة لإبداع الطفل (تنافر / عنف) يمكن أن تفرز لنا في النهاية جملة من الخصائص

العودة إلي الحالة الطبيعية بعد انقضاء الأحداث المسببة للضغط وقتاً طويلاً.

يمكن أن نخلص من الشروط التي وضعها **Thomas** إلي عدة اعتبارات نظرية يتصدرها :

أن الطفل المعرض للعنف الأسري قد تتراوح حالته من التعرض المؤقت لحاله العنف والذي سرعان ما يزول بانتهاء الموقف الضاغط، ومروراً بحالات العنف، بشكل متوارد ولكن في الإطار المتوسط، ونهاية بالعنف الشديد والمستمر في معظم المواقف التفاعلية، أن هذا التدرج في مواقف العنف الأسري مع الابن لابد من تحديده إجرائياً وبدقة أثناء وضع التصميمات البحثية لأنه من الخطورة المنهجية أن نضع في عينه بحثيه واحدة طفل تعرض للعقاب الأسري من خلال موقف أو عدة مواقف عابرة علي قدم المساواة مع طفل آخر لا يتعامل والداه معه إلا من خلال أسلوب العنف والانتهاك بشكل دائم ومتكرر فالضغط الذي يتعرض له الطفل الأول يعد ضغطاً موقفياً وفقاً لتعبير **Thomas** علي حين أن الطفل الثاني تعتبر استجابته في هذه الحالة استجابة ضغط، نظراً لتكرارية المواقف الضاغطة، إن هذا الاعتبار النظري لابد أن يلقي بانعكاساته علي التصميمات البحثية التي تلجأ إلي اختيار الأطفال الذين تعرضوا للعنف الأسري بمجرد توجيه سؤال عام

يتضمن : هل سبق للطفل أن تعرض للإيذاء البدني من قبل أحد الوالدين؟

إن خطورة مثل هذا التعميم أنه يهمل شدة ونوعية وتكرار مواقف العنف، ومن ثم الشك في النتائج الخاصة بأساليب الأبناء في مواجهة الضغوط..

أن العنف الذي يمارسه الأباء والأمهات علي الأطفال سواء كان مؤقتاً أو دائماً أنما يخلف وراؤه العديد من الآثار السلبية، وتتضح تلك الآثار في المحاولات العلاجية التي قام بها العديد من الباحثين لأطفال سبق لهم التعرض لهذا العنف ، فقد قام كل من **John & Maag 1994** بعلاج مجموعة من الأطفال يعانون من الإخفاق الدراسي، حيث أتضح أن قدراتهم العقلية تؤهلهم للتحصيل الجيد والحصول علي درجات مرضية، إلا أن الاحباطات الواقعه عليهم تحول بينهم وبين الدافعية للتحصيل وبعد انتهاء البرنامج العلاجي القائم علي العلاج الأسري وتقليص حدة النزاعات بين الزوجين، والإقلال من حدة التعامل العنيف مع الأبناء، بدأت معدلاتهم التحصيلية في الارتفاع التدريجي.

كذلك قام الباحثان **Ruhi & Horf 1992** باخضاع مجموعة من الأطفال الذين يعانون من سوء المعامله الوالديه، والذين يعانون كذلك من عدم قدرتهم علي استخدام مهاراتهم الاجتماعية بكفاءة،

إلي برنامج تدريبي مكثف مما أدي إلي ارتفاع معدلات مهاراتهم في التواصل والاتصال التفاعلي.

ولم يغفل الباحثون الذين تصدوا لظاهرة العنف الأسري وتأثيره السلبي علي الصحة النفسية للأبناء دور نوع الطفل الذي يتعرض للعقاب (ذكور /اناث) .. ففي دراسة قام بها مجموعة من الباحثين Jaffe 1996 وآخرون بعنوان

Family violence and child Adjustment analysis of Girls and boy's Behavioral symptoms

حاولت تلك الدراسة الإجابة علي سؤالين أولهما.

هل الأطفال الصغار الذين يعايشون بالفعل أجواء العنف الأسري بين الوالدين أقل توافقاً "شخصياً / اجتماعياً" بالمقارنة بقرنائهم الذين لم يسبق لهم معايشه تلك الأجواء؟

والسؤال الثاني هل مشاهدة الأطفال (ذكور/ إناث) لمشاهد العنف بين الوالدين يمكن أن يحمل تباينات من حيث طبيعة المشكلات التي يتعرض لها الأبناء وفقاً للنوع (الجنس) ؟

وتحقيقاً لهذين الهدفين تم اختيار ثلاث مجموعات من الأطفال،

١ – المجموعة الأولي: من الذكور (مجموعة العنف).

٢ – المجموعة الثانية : من الإناث (مجموعة العنف)

٣ – المجموعة الثالثة : مجموعة ضابطة من الذكور والإناث

٤ – المجموعة الرابعة : "مجموعات غير العنف" وقد بلغ عدد كل مجموعة فرعية ٤٨ طفلاً بمتوسط عمر قدره ٨,٩ عام ، وقد تم تحديد مجموعتي العنف عن طريق استبار قام الوالدان بالاجابه عليه ، وتتضمن بنوده المواقف العنيفة لكلا الزوجين من قبيل المشاجرات اللفظية والدفع باليد والتحرش البدني والضرب أمام الأطفال، وكان تحديد الدرجة يتم عن طريق دمج درجتي كل من الأب والأم معاً (عنف اسري).

وعن طريق الربيع الأعلى تم تحديد عينة الدراسة من أطفال العنف الأسري والمجموعة الضابطة لهم ، ثم قام الباحثون بتطبيق اختبارين علي شريحة الأطفال "إختبارات موقفية " الأول لقياس مدي التوافق الشخصي والمجتمعي والآخر علي غرار قائمة موني للمشكلات، بحيث يقوم الطفل بترتيب المشكلات التي يتعرض لها وفقاً لأهميتها النسبية كما يدركها هو.

وجاءت المؤشرات البحثية تعكس انخفاض مستوي التوافق الشخصي والاجتماعي لمجموعة أطفال العنف الأسري (ذكور / إناث) بالمقارنة بالمجموعة الضابطة، فضلاً عن الفروق الدالة بين المجموعتين (العنيفه – الضابطة) علي متغير المشكلات السلوكية والعاطفية لصالح المجموعة الضابطة والتي أظهرت انخفاضاً ملحوظاً في نوعية المشكلات التي يتعرضون لها في مقابل قرنائهم من مجموعتي العنف (ذكور / إناث) .

أما عن التباينات داخل مجموعة العنف الأسري وفقاً للنـــوع، فقد ارتبط مستوي العنف بمشكلات اكبر في التوافق لـــدي الأبنـــاء الذكور بالمقارنة بالإناث.

أما عن نوعية المشكلات فقد كانت المشكلات العاطفيـــة فـــي مقدمة مشكلات البنات، علي حين أن المشكلات السلوكية كانت فـــي مقدمه مشكلات البنين كذلك أظهرت مجموعتي الدراسة من أطفـــال العنف انخفاضاً ملحوظاً علي متغير المشاركة الاجتماعيـــــــــة **Social – Participation** بالمقارنة بالمجموعة الضابطة .

وفي نفس الإطار البحثي قام البـــاحث **Walfe 1992** ومعـــه مجموعة من الباحثين بإجراء دراسة بعنوان.

Children of Battered woman, the relation of child Behavior of Family violance and Maternal stress

وكان الهدف الرئيسي للدراسة محاولة الإجابة علـــــي ســـؤال رئيسي مؤداه هل تعرض الطفل لموقف العدوان بالمشاهدة، يختلـف عن وقوع الطفل نفسه لمواقف العنف من الوالدين من حيث نوعيـــه المشكلات التي يمكن أن يعاني منها الطفل.

وتحقيقاً لهذا الهدف تم إختيار ثلاث مجموعات من الأطفال:

المجموعة الأولي : الأطفال الذين شاهدوا مظاهر العنف الزواجي بين الأب والأم من قبيل الضرب وطـــرد الأم مـــن المـــنزل

وتكسير وتحطيم محتويات المـــنزل والألفـاظ النابيـه بيـن الزوجين.

والمجموعة الثانية : الأطفال الذين سبق لـــهم الوقـوع أجرائيـاً كضحايا تحت سطوه العنف الوالدي (الاب/ الام) لأكـثر مـن مرة أما المجموعة الثالثة والأخيرة: فكانت ضابطة لم تعـايش أو تشاهد مواقف العنف الأسري وفقاً للتقرير اللفظي للوالديـن الذين تم إستبارهم من خلال أحد بطاقات التقدير لسلوك العنـف الزواجي.

بلغ عدد أطفال كل مجموعة مائة طفل ولم تضع الدراسة في الحسبان متغير نوع الطفل (ذكر / أنثـــي) ، وتراوحـت أعمـار الأطفال بمتوسط قدره ١١,٨ عام وتم تطبيق مقياســاً للمشـكلات عليهم يتضمن عدة أبعاد (سلوكية / عاطفية/ صحية / أكاديميـــة / اجتماعية /انفعالية /معرفية) .

وقد خرجت الدراسة بأن مجموعة العنف المشاهد كـانوا أقـل بفارق ذو دلاله إحصائية عن مجموعة العنف المعايش فـــي كـل المشكلات التي تتضمنها المقياس المعد لذلك الغرض.

كذلك أوضحت الدراسة أن مجموعتي العنـــف (المشـاهدة / المعايشة) ارتفعت درجاتهم بشكل ملحوظ علي كافـــة المشـكلات المعروضة بالمقارنة بالمجموعة الضابطة. **(Walfe et al 1992)**

وإذا كانت دراستي كل من **Walfe, Jaffe** قد ركزتا الاهتمام علي شرائح الأطفال، فإن الباحثان **Forsstron & Rosenfaum 1990** قد ركزا اهتمامهما علي الآثار السلبية للعنف الأسري كما يدركه المراهقون من الأبناء، ففي بحث لهما بعنوان:

The effect of parental Marital violance . Yong Adults

حاول الباحثان التأكد من فرضيه نظرية مؤداها أن مشاهدة الطفل لمواقف العنف بين الوالدين قد يستثمره الطفل بداخله حتي بعد انتقاله إلي مراحل أكثر تقدماً في العمر.

الأمر الذي يجعل الراشد يميل بشكل غير مباشر إلي تفعيل ذلك العنف إجرائياً مع المحددات الخارجية، وللتأكد من تلك الفرضية قام الباحثان باختيار مجموعة عشوائية من المراهقين بمتوسط عمر (١٩,٧ عام) ثم قام الباحثان بتطبيق إستبار يكشف نوعية وشدة العنف الأسري الذي تعرض له المراهق أو شاهده من خلال تواجده في الأسرة إبان مرحلة طفولته "إدراك العنف الوالدي أثناء الطفولة) وبعد معالجة النتائج تم تحديد مجموعتي الدراسة "الربيع الأعلى – الربيع الأدنى" وقد اتضح أن المراهقين الذين ارتفعت درجاتهم علي العنف الأسري كانوا أكثر ارتفاعاً في درجات المقاييس الخاصة بالقلق والسلوك العدواني والاكتئاب بالمقارنة بالمجموعة الأقل تعرضاً للعنف إبان مراحل طفولتهم.

وجاءت المؤشرات البحثية تشير إلي ارتباط التعرض للعنف والإيذاء البدني أثناء الطفولة بالمستويات المرتفعة من القلق لدي الذكور المراهقين والمراهقات ومستويات اعلي من الاكتئاب والعدوانية لدي الإناث فقط من المراهقات .

وقد دلل الباحثان علي صدق الفرضية النظرية التي تري أن معايشة الطفل لأجواء العنف الأسرى تترك آثارها السلبية علي شخصية الابن حتى بعد انتقاله للمراحل العمرية المتقدمة.

واستطراداً لمثل هذا التوجه البحثي القائم علي استبار المراهقين والراشدين من الأفراد للتعرف علي الآثار السلبية للعنف الأسري الذي سبق لهم التعرض له ابان مراحل طفولتهم قام الباحثان **Ulbrich &Huber 1993** بدراسة تحت عنوان :

observing parental violance, Distribution and effect

وكان الفرض الرئيسي من الدراسة محاولة التعرف علي طبيعة ونوعية اتجاه الرجال نحو استخدام أساليب الشدة والعنف مع المرأة، ثم محاولة الربط بين نوعية الاتجاه (تأييد / رفض) بخصائص هؤلاء الأفراد في ضوء ما سبق لهم أن تعرضوا له من أحداث طفليه تتسم بالعنف والإيذاء .

وتحقيقاً لهذا الهدف البحثي قام الباحثان بعمل مسح علي عينات كبيرة بلغت ٣٤٢ عن طريق المسح التليفوني، تراوحت أعمارهم من (١٨-٥٨ عام) للتعرف علي طبيعة اتجاهاتهم نحو أساليب التعامل العنيف مع المرأة، وتم الاتفاق علي أن يقوم كل مبحوث

بملء استمارة تتصل ببعض الخبرات الطفلية التي سبق أن تعرض لها في إرتباطه بالوالدين، وعلاقه كل منهما (الاب/الام) به .

وقد أشارت الدراسة بوجود علاقة ارتباطية بين الاتجاه نحو العنف تجاه المرأة وكم وكيف الأحداث العنيفة التي سبق للمبحوث الراشد ان شاهدها وعايشها إبان مرحلة طفولته.

كذلك أتضح أن الراشدين الذين رفضوا فكرة تعنيف الزوجة كانت خبراتهم الطفلية مع الوالدين خالية من أساليب الشدة ويغلب عليها الاتجاهات المتسامحة.

ويؤكد تلك النتائج دراسة أخري قام بها كل من **Hinchey & Gavelex 1993** علي مجموعة من المراهقين الذين ترددوا علي أحد العيادات النفسية بسبب العنف الواقع عليهم من الآباء، حيث اتضح انهم يعانون من انخفاض تقدير الذات، وصعوبة التفاعل مع الآخرين ، ويغلب عليهم الاتجاهات الانسحابية، فضلاً عن نزعات الاكتئاب والشكوى والاضطرابات الجسدية.

وعلي الرغم من اتفاق الباحثين في مجال دراسة ضحايا العنف الأسري علي ضرورة اعتبار العنف الظاهر سواء شاهده الطفل أو عايشه بالفعل ووقع تحت سطوته هو المعيار البحثي الأكثر أهمية في دراسة هؤلاء الأطفال، إلا أن البعض يري أنه بالإضافة إلي ما سبق، أن مجرد التنافر بين الزوجين وبرود العلاقات التفاعلية بينهما من قبيل اللامبالاه والإهمال يعد في حد ذاته أحد

محددات العنف وإن لم يصل إلي حد الظهور المباشر (التفعيل السلوكي) .

الأمر الذي دفع بالبعض إلي اعتبار مثل هذه الأبعاد الخفية غير الظاهرة نوعاً من العنف والذي يترك نفس الآثار علي نفسية الطفل، وللتأكد من تلك الفرضية قام الباحثان **Rosenbaum & Hershorm 1988** بدراسة تحت عنوان

Children of marital violence

حيث قام الباحثان بإخضاع ثلاث مجموعات من الأطفال بمتوسط عمر قدره (٨ر١٠ عام) .

المجموعة الأولي: من الأطفال (ذكور / إناث) تعيش في أجواء أسرية تتسم بالتنافر بين الزوجين بحيث لا يظهر في تلك الأجواء المظاهر السلوكية الخاصة بالعنف الظاهر مثل الشجار أمام الأبناء أو الضرب. الإيذاء البدني .. الخ ".

أما المجموعة الثانية : من الأطفال تعيش في أجواء من التنافر الأسري المصحوب بالعنف الزواجي الظاهر "ضرب الزوجة، تحطيم الإثاث، ضرب الأبناء، الإهانات اللفظية.

أما المجموعة الثالثة : فهم الأطفال الذين يعيشون في أجواء أسرية سويه "غير متنافرة – غير عنيفة).

وقد تم تحديد المجموعات البحثية الثلاثة عن طريق استمارة البحث التي تضمنت العديد من الأبعاد التفاعلية والتي يجيب عليها كل من الزوج والزوجة.

ومن خلال درجاتهما معاً يتم تحديد شريحة الآباء والأمهات ومن ثم تحديد أطفال الدراسة في المجموعات الثلاثة، حيث بلغ مجموع كل مجموعة فرعية ثلاثون طفلاً ، ثم قام الباحثان بتطبيق اختبارين أحدهما لقياس التوافق والآخر لقياس نوعية المشكلات.

وأوضحت الدراسة أن المجموعات التي عايشت أجواء التنافر والعنف أظهرت مشكلات واضحة بالمقارنة بالعاديين، علي حين زادت حدة المشكلات السلوكية لدي الأطفال المعايشين لأجواء التنافر الأسري المصحوب بالعنف في مقابل مجموعة التنافر الأسري فقط.

أما عن مؤشرات التوافق فقد جاءت مطابقة لبحث **Jaffe** من حيث انخفاض درجة توافق الأطفال المعايشين لأجواء العنف الأسري بالمقارنة بالمجموعة الضابطة.

واستكمالا لتلك النوعية من الدراسات التي تحاول الربط بين العنف الزواجي وبعض المتغيرات النفسية والسلوكية للأبناء المعرضين لهذا العنف قام الباحثان **Hughes & Brad 1986** بإجراء دراسة بعنوان:

.Psychological functioning of children in Battered Women's clinic

حيث حدد الباحثان التعريف الإجرائي للعنف الزواجي بأنه: **(الاعتداء الواضح والصريح من قبل الزوج على الزوجة في حضور الأبناء كمشاهدين لفعاليات هذا العنف)** وقد تم الإعلان عبر الصحف بان الباحثان يرغبان في إجراء دراسة عن الخصائص النفسية والسلوكية للأطفال الذين سبق لهم مشاهدة وقائع عنف زواجي بين الوالدين ، وعن طريق الزوجات المتطوعات تم تطبيق اختبارا لقياس شدة العنف الزواجي الذي تعرضت له الأم من قبل الأب، ثم أعقب تلك الخطوة مرحلة تطبيق مقاييس للقلق والعدوان عبر البريد لهؤلاء الأمهات المتطوعات ليتولين بدورهن تطبيقها علي أبنائهن الذين سبق لهم مشاهدة وقائع العنف الزواجي.

حيث بلغ متوسط أعمار الأطفال ١٢,٧ عام وعددهم ١٢٠ طفل وطفلة ، وبعد الانتهاء من المعالجات الإحصائية أتضح وجود علاقة ارتباطيه طردية بين معايشة الطفل لأجواء العنف ودرجة شدتها وارتفاع درجات القلق لديه.

أما عن المؤشرات الفارقة بين الذكور والإناث من مجموعة العنف، فقد كانت حدة القلق أكثر ارتفاعاً لدي الذكور منها لدي الإناث.

كذلك أتضح الارتباط الدال بين التعرض لمشاهد العنف والسلوك العدواني للطفل، فالإناث كن أكثر ميلاً للانسحاب الاجتماعي وضعف المشاركات بالمقارنة بالذكور.

واستكمالاً لتلك النوعية من الدراسات قام **فتحي الشرقاوي ١٩٩٧** بإجراء دراسة بعنوان "ضغوط أحداث الحياة وبعض سمات الشخصية لدي الأبناء من ضحايا العنف الأسري.. دراسة ارتباطيه مقارنة " .. قام الباحث من خلالها بتطبيق مقياساً للعنف الأسري علي عدد ٢٣٠ تلميذاً من المرحلة الثانوية وتم تحديد مجموعتين من التلاميذ (الربيع الأعلى – الربيع الأدنى) وفقاً لدرجات التلاميذ علي مقياس العنف الأسرى، ثم قام الباحث بتطبيق قائمة **Coddington** لضغوط أحداث الحياة بعد تعريبها وتقنينها علي المجموعتين من التلاميذ التجريبية والضابطة وكذلك تم تطبيق قائمة مسح المخاوف (ولبه / لانج) من إعداد أحمد عبد الخالق علي المجموعتين أيضاً، وكذلك اختبار الشخصية "برونورويتر" من إعداد محمد عثمان نجاتي.

وقد أشارت الدراسة إلي أن التلاميذ الذين سبق لهم معايشه أجواء العنف الأسري ارتفعت درجاتهم بشكل دال علي متغيرات(الميل العصابي – الانطواء – الخضوع).

كذلك وجود فروق داله إحصائياً علي متغير ضغوط أحداث الحياة لصالح أطفال العنف، أما المخاوف فجاءت النتائج أيضاً فارقه إحصائياً لصالح أطفال العنف..

إذا كانت الدراسات السابقة انتهجت الأسلوب الامبريقي القائم علي اختيار العينات الكبيرة نسبياً فهناك من الباحثين من رأي

ضرورة الاقتراب المتعمق من نفسيه هؤلاء الأطفال الذين وقعوا كضحايا للعنف الوالدي والتعرف علي خصائصهم النفسية عن طريق أسلوب دراسة الحالة، حيث قام الباحث **Levine 1985** بدراسة بعنوان:

Interparental Violance and it's effect an the children

وفي هذه الدراسة قام الباحث بدراسة عشرة أطفال عن طريق المقابلات المفتوحة، تم اختيارهم بناءً علي تقديرات الوالدين.

وقد أوضحت نتائج دراسة الحالة **Case Study** أن هؤلاء الأطفال تميزوا بعدة خصائص منها الأستجابة بالسلوك العدواني اللفظي أو البدني إذا ماتم وضعهم في مواقف إحباطية، ولايجيدون فن المناقشات التي تتضمن حوارات لفظية هادئة.

فضلاً عن سلوك العناد والتشبث بالآراء، وعدم الامتثال لأوامر الآخرين، وسرعة الاستثارة والتهور والمزاج المتقلب، وصعوبة التكيف، والتقدير المنخفض للذات، وعدم القدرة علي التواصل لفترات طويلة..

وإذا كانت دراسة **Levine** قد أسفرت عن وجود عدة مظاهر للاضطراب مثل التقدير المنخفض للذات وسرعة الإثارة والتقلب المزاجي فضلاً عن السلوك العدواني، فإن العرض الأخير والمتمثل في السلوك العنيف للابن الذي تعرض للعنف الأسري كانت محل

اهتمام العديد من الباحثين، علي اعتبار أن سلوك العنف لدي الأبناء يمكن تفسيره جزئياً من خلال الفكرة النظرية الرامية إلي أن سلوك العنف لدي الابن ماهو إلا محاكاة لسلوكيات عنيفة سبق له أن عايشها او شاهدها في إطار أسرته.

من هذا المنطلق قام الباحثان Hilberman & Munson 1987 بإجراء دراسة بعنوان:

Sixty Battered women

وقد أنطلق الباحثان من فكرة نظرية مؤداها أن المعايشة الفعلية للأذي من قبل الوالدين علي الطفل ، قد يؤدي إلي دفع الطفل لتفعيل سلوكه العنيف مع الآخرين وليس فقط مجرد المشاهدة لأحداث العنف.

ولكي يتم التحقق من هذا الاعتبار النظري تم تحديد التلاميذ الأكثر تورطاً في العديد من المشكلات السلوكية مع زملائهم في إطار البيئة المدرسية (الضرب – الدفع – المشاجرات – الايذاء البدني) إلي الحد الذي تم من خلاله تحويل التلميذ المُشكل إلي مكتب الأخصائي النفسي في المدرسة .

وبعد التحديد الإجرائي لهؤلاء التلاميذ من عدة مدارس إعدادية (متوسط أعمارهم (١٢,٨ عام) قام الباحثان بدراسة حالة كل تلميذ علي حدة حيث بلغ عددهم ثماني عشرة تلميذ وتلميذة.

وقد أظهرت المؤشرات أن أربع حالات من التلاميذ الذكور كانوا يعيشون في أجواء من التنافر الأسري لم يصل بعد إلي حد العنف عليهم أو مشاهدة وقائع عنف بين الوالدان، وحالتان منهم قد وقع عليهما الأذى من خلال ضرب الأباء لهما، أما الأربعة الباقون فقد شاهدوا وقائع العنف المتمثلة في ضرب الأم والأخوة ولم يتعرضوا هم شخصياً للإيذاء، أما عينة الإناث فقد كن يعانين من انفصال الأبوين وعدم تواجدهما في دائرة الأسرة المتكاملة (التواجد مع الأم فقط) أما الستة الباقيات فأربعه منهن قد شاهدن بالفعل بعض مواقف العنف التي وقعت للام علي حين أن الطفلتان الأخيرتان فقد وقع عليهن بالفعل الإيذاء والعنف من قبل الأب والأم.

ويخلص الباحثان من هذه الدراسة إلي أن جو التنافر بين الزوجين سواء تمثل في الخصام أو الابتعاد أو السلوك العنيف يمكن أن يكون مجالاً خصباً لإفراز المشكلات السلوكية لدي الأبناء.

ولم يستطع الباحثان الإجابة علي سؤالهما المطروح والخاص بالتعرف عما إذا كانت المشاهدة للعنف أو التعرض للعنف يؤدي أكثر إلي اضطراب سلوك الابن "السلوك العنيف للأبناء" وقد يرجع ذلك في اعتقادنا إلي طبيعة المنهج الذي استخدمه الباحثان والذي لم يسمح لهما باختيار عينات كبيرة من التلاميذ ثم إيجاد

العلاقة الارتباطية بين متغيرى المشاهدة للعنف ومعايشة العنف والسلوك العنيف للأبناء.

ويتفق مع تلك الدراسة تماماً دراسة أخري قام بها كل من

(Weissman &Rounsaville 1987)

بعنوان : Battered women, Medical problems.

حيث أشار الباحثان من خلال دراسة حالة ثلاثة وخمسون طفلاً ممن وقع عليهم بالفعل الإيذاء البدني من قبل الوالدين إلي انهما يميلون إلي تفعيل بعض الاضطرابات السلوكية، وكانوا أكثر ارتكابا للمخالفات القانونية وأكثر صعوبة في التوافق مع المحددات المدرسية.

ويتفق مع تلك النتيجة دراسة أخري قام بها كل من **Porter & o'leary 1980** حيث أشارا إلي وجود ارتباط دال بين شدة العنف الوالدي وبين كثرة المشكلات السلوكية للأبناء .

وإذا كانت الدراسات السابقة تعاملت مباشرة مع أساليب العنف الزواجي واثره علي الأبناء سواء كانوا مشاهدين لهذا العنف أو واقعين بدروهم تحت تأثيره، فهناك بعض الاتجاهات النظرية التي تري أن وقوع الطلاق أو الانفصال بين الأباء والأمهات، من شأنه أن يجعل الابن يقع كضحية للعنف الأسري، لأن من شأن هذا الانفصال أن يُشعر الطفل بان هناك نوعاً من العداء بين الوالدين ومن ثم يصبح أكثر عرضه للتأثر به من خلال تواجده في تلك

البيئة المتنافرة، مما يجعله أكثر استعداداً للاضطراب سلوكياً وعاطفياً واجتماعياً.

وللتأكد من تلك الفرضية قام الباحث Jocobsen 1985 بأجراء دراسة بعنوان:

The impact of Marital separation Divorce on children

حيث قام الباحث بتصميم أداه أطلق عليها العداء الزواجي **Hostility** وتم تطبيقها علي عدد كبير من الأزواج والزوجات، بحيث تتيح الإداه لكليهما تحديد الدرجة الملائمة للعداء "الشدة" من خلال عرض مواقف التفاعل الزواجي المتعددة، وتزود الآداه الباحث في النهاية بالدرجة المرتفعة والمنخفضة من العداء الزواجي، والتي تبدأ من مجرد عدم التقبل النفسي للطرف الآخر وتنتهي بالعنف والتحرش البدني.

وبعد تحديد عينة الدراسة من الأمهات الأكثر عدائية للزوج، وكذلك تحديد عينه الأباء الأكثر عدائية للزوجه وفقاً لتقاريرهم الذاتيه، تم تطبيق اختبارا للتوافق علي أبنائهم يقيس ثلاثة جوانب من التوافق (ذاتي – مدرسي – صحي).

وقد أشارت الدراسة إلي وجود علاقة ارتباطيه داله بين زيادة حدة العداء الزواجي واضطراب التوافق بأنواعه الثلاثة لدي أطفال الدراسة.

وبالإضافة إلي الآثار النفسية والسلوكية والاجتماعية السلبية من جراء تعرض الطفل للعنف الأسري، فإن بعض الدراسات حاولت إخضاع فرضيه الآثار السلبية علي النواحي الصحية للطفل محل الاختبار والدراسة ، علي اعتبار أن معظم الاضطرابات السيكوسوماتيه تتفجر لدي الفرد من خلال تأثير الضغوط النفسية التي يتعرض لها وارتفاع معدلات التوتر والقلق لديه .

وتحقيقاً لهذا الهدف قام الباحثان Martin &Westra 1981 بإجراء دراسة بعنوان :

Children of battered women

حيث قام الباحثان باستبار مجموعة كبيرة من الأمهات اللاتي لديهن أطفال صغار في سن المدرسة الإبتدائية، وذلك من خلال تحديدهن لدرجة قوة تعرض الأبناء للعنف الزواجي، والإبقاء علي أعلي الدرجات (الربيع الأعلي) وأقل الدرجات (الربيع الادني) .

ثم قام الباحثان بتطبيق ثلاثة اختبارات علي شريحة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من ٩-١٢عام، الاختيار الأول لقياس الذكاء والثاني لقياس الاضطرابات السيكوسوماتيه والثالث لقياس المهارات الحركية، وبعد تدريب الأمهات علي كيفية تطبيق الأدوات علي ابنائهن، تم معالجة البيانات لكلا المجموعتين (العنف /اللاعنف).

وقد خرجت الدراسة بعدم وجود فروق داله إحصائياً بين المجموعتين علي متغير الذكاء وأن كانت المتوسطات المستخلصة

تشير إلي ارتفاعها لدي عينة أطفال اللاعنف، أما عن الاضطرابات السيكوسوماتيه فكانت الفروق داله إحصائيا لصالح عينه أطفال العنف وقد فسر الباحثان تلك المؤشرات بأن المشاحنات والعداءات الزوجية قد لاتتيح للأبوين فرصة الاهتمام الصحي وتقديم الرعاية لأبنائهما بالمقارنة بغيرهما من الأزواج.

أما عن متغير المهارات الحركية فقد كانت الفروق بين المجموعتين داله حيث ارتفعت لدي مجموعة اللاعنف.

من خلال استعراض التراث البحث السابق والخاص بالآثار التي يخلفها العنف الأسري علي الضحايا من الأبناء الصغار والكبار معاً، يمكن الخروج ببعض الاعتبارات النظرية والمنهجية التي تنعكس بدورها علي المحاولات البحثية المستقبلية لهذه الظاهرة.

أولاً : أن معظم هذه الدراسات كانت تعتمد علي الضحية (الام) في تقرير حالة الابن سواء كان مشاهداً لأحداث العنف الأسري أو واقعاً تحت قسوتها بالفعل، والاعتماد علي هذا المصدر فقط قد يقلل من مصداقية المؤشرات المستخلصه، نظراً لتحيز الأم أحياناً وعدم حيادها في عملية التحديد، وبالتالي كان ينبغي أجراء المقابلات مع الأطفال أنفسهم للتعرف علي مدي مصداقيه ما قالت به الأم من بيانات .

ثانياً : لم نعثر إلا علي عدد قليل من البحوث اعتمدت علي تقدير الضحية (الأب) .. مع أن هناك حالات كثيرة يعتبر فيها الزوج هو ضحية العنف الأسري، ومن ثم ينبغي عدم إهمال تقريره للأحداث وتقديره لشدة العنف الواقع علي أبنائه، أسوه بتقدير الأمهات لهذا الجانب.

ثالثاً : لم توضح الدراسات السابقة نوعية العنف الذي وقع علي الأطفال، وشدته ودرجة تكراريته، والطبيعة النوعية للمواقف التي حدث فيها سلوك العنف، وتم الاكتفاء بان هؤلاء الأفراد تعرضوا للعنف الأسرى في مقابل أخرى ضابطة لم تتعرض للعنف.

رابعاً : من المؤكد أن حداثة مواقف العنف التي يتعرض لها الطفل من جانب الوالدين تلعب دوراً جوهرياً في دقه إدراكه، ومن ثم سهوله رصد الانطباعات الخاصة به، من هذا المنطلق لم تفرق الدراسات بين أحداث للعنف سبق أن تعرض لها الطفل ووقائع ومواقف حديثه مازال الطفل يعايشها بالفعل..

خامساً : لابد من الأخذ في الاعتبار جمله من العوامل الأسرية التي قد تتدخل وتفرز نفس المظاهر الناجمة عن العنف الأسري وهي ليست كذلك، مثل سوء استعمال الموارد الاقتصادية وأمراض الآباء والأمهات ، والاضطرابات النفسية لاحد أو كلا الوالدين، عدد الأطفال في الأسرة، عدم القدرة علي

توفير الحماية للأبناء، الضغوط الأسرية، العطالة عن العمل، إدمان الآباء للمخدرات، أن هذه المحددات يمكن أن تؤثر علي الأبناء دون أن يكون العنف الأسري مصاحباً لها أو مقترناً بها..

سادساً : من الأهمية المنهجية لجؤ الباحث إلي تحديد وتوضيح تعددية مصادر تقييم العنف الأسري لدي الأطفال، بحيث لا يتم الاكتفاء بتقرير الأمهات فقط، فالعنف الذي يقع علي بعض الأمهات من قبل أزواجهن وأبنائهن، يجعلهن يبالغن في تقرير ووصف العنف الذي وقع علي الأبناء، وذلك لغلبة الجوانب الانفعالية عليهن، فالحالة السيئة لدي بعض الأمهات تدفعهن- أحيانا – إلي المبالغة والتهويل.

الفصل الثانـــي

ضغوط أحداث الحياة لدي الموظفين

الفصل الثاني
ضغوط أحداث الحياة لدي الموظفين

في مقال مطول قام بتحريره **Bryan** ١٩٩٦ تحت عنوان:

Work - Related stress

تم نشره في مجلة أخلاقيات العمل الأمريكية، يتعرض الكاتب إلي الضغوط في بيئة العمل، وكيف أن هذه الضغوط قد تؤدي إلي العديد من الآثار السلبية سواء للموظف من حيث من حيث بالقلق والشعور بالإحباط، أو للمؤسسة أو الشركة التي يعمل بها من حيث "انخفاض مستوي الإنتاج /التدهور الإداري".

ويري الكاتب أهمية الأخذ في الاعتبار دراسة كل ما من شأنه أن يمثل ضغطاً لشريحة الموظفين، ومن ثم البدء في البحث عن الأساليب المناسبة لمواجهة تلك الضغوط، حرصاً علي الحالة النفسية والانفعالية للموظف، من جانب، وفي نفس الوقت الحرص علي الإطار العام للعمل "المنتجات" .

ويري المؤلف أن الدراسات التي تتعرض لضغوط الموظفين عادة ما تركز علي الضغوط السلبية المعرقلة من قبيل زيادة العبء الوظيفي، أو سوء الأشراف الإداري علي الموظف بما يتضمنه من سوء المعاملة والتحكم والاستبداد والانفراد بالقرارات، وكذلك زيادة فترات العمل للموظف أو العامل، دون مراعاة للخصائص الذاتية له من قبيل قدراته ومهاراته .. الخ.

وعلي الرغم من تأكيد صاحب المقال أن تلك المواقف تمثل ضغطاً وتهديداً مباشراً للموظف ، إلا أنه يري علي الجانب الآخر ضرورة الأخذ في الاعتبار وعدم الإهمال البحثي للضغوط الإيجابية، من قبيل التنافس بين الموظفين والعمال من أجل زيادة الإنتاج، وفرص الترقي الوظيفي، فمن شأن هذه الضغوط كما يري **Bryan** أنها برغم إيجابيتها إلا تؤدي إلي العديد من المظاهر السلبية أيضاً، من قبيل العبء المتزايد في العمل، بما يتضمنه من الإحساس بالإرهاق والرقابة والملل ودقة العمل، والغموض في أداء الأدوار مما يدفع الموظف للجوء إلي كافة الأساليب اللاسوية في إطار تفاعلاته مع الآخرين من قبيل "السرية / التكتيم/ " والصراعات بين الموظفين وبعضهم البعض، انتفاء علاقات الدعم في مجال العمل، والإحساس بعدم القوه، والافتقار للمشاركة الفعالة، فكل تلك المظاهر وغيرها الكثير تعد بمثابة آثار سلبية لما نسميه بالضغوط الايجابيه "التنافس في العمل" .

ويختتم **Bryan** مقاله بالتحذير من المأزق الذي يقع فيه بعض الباحثين الذين يتعرضون لدراسة ضغوط أحداث الحياة لدي الموظفين، حيث يلجأون عادة إلي تفسير الضغوط بشكل مطلق، أما إرجاع السبب إلي المثيرات الضاغطة في بيئة العمل، أو إلي افتقار الموظفين للخصائص والسمات النفسية التي تجعلهم غير قادرين علي تحمل الضغوط وتداعياتها.

ويري كاتب المقال أن الأمانة البحثية تتطلب وضع هذين العاملين في دائرة الاعتبار البحثي، فالمثيرات الضاغطة لا تسفر عن استجابة الضغط ، إلا إذا كانت قدرات الأفراد لا تؤهلهم إلي تحملها والتعامل معها بكفاءة وإيجابية، الأمر الذي يتطلب عدم تناول ضغوط العمل علي مبعده من خصائص الموظفين ، والعكس يبدو صحيحاً في نفس السياق المطروح.

إن الدعوة التي رفعها **Bryan 1996** تطرح بدورها عدة مؤشرات:

أولاً : إذا كانت المواقف الضاغطة السلبية تمثل خطراً لابد من مواجهته، سواء عن طريق الإقلال من حدة الضغوط الخارجية، أو تدريب الأفراد علي كيفية المواجهة الإيجابية لتلك المواقف الضاغطة، فإن هناك العديد من المواقف الإيجابية التي تحمل بدورها سمه الضغط، وقد تؤدي أيضاً إلي بعض الاستجابات السلبية ، مما يستوجب ضرورة الاهتمام بهذين النوعين من الضغوط في بيئة العمل (السلبية – الإيجابية).

ثانياً : من الخطورة المنهجية تركيز الاهتمام البحثي علي المواقف الخارجية الضاغطة من حيث نوعيتها وشدتها، علي مبعده من دراسة خصائص الأفراد وسماتهم المميزة لهم، فالإحساس بالضغط يعد إدراكا ذاتياً من الفرد تجاه الموقف الضاغط، وفقاً لنظرية الإدارك الانتقائي، فالموقف الذي يشكل تهديداً

لأحد الأفراد، قد لايكون كذلك بالنسبة لفرد آخر ، فالمعيار هنا لم يعد منصباً علي الطبيعة النوعية للموقف الضاغط بوصفه مثيراً، فقط وإنما علي الطبيعة النوعية للأفراد الذين يواجهون تلك الموقف.. مما يتطلب في المقابل ضرورة الاهتمام بهذين المتغيرين معاً "مواقف ضاغطة / خصائص الأفراد".

علي الرغم من دعوة الباحث **1996 Bryan** إلي ضرورة الأخذ في الاعتبار خصائص الموظفين وسماتهم الشخصية، إلا أن البعض يري أن هناك العديد من المواقف الضاغطة لا علاقة لها بهذه الخصائص، الأمر الذي يجعل هذه المواقف الضاغطة أشبه بالمثير الذي يؤدي بالضرورة إلي استجابة الضغط المتوقعة، مثل أسلوب الإكراه الذي يمارسه المشرفون حيال موظفيهم، ودفعهم لممارسة أعمال لا تلقي لديهم نوعاً من الاهتمام أو الإثارة أو الشغف.. فمثل هذا السلوك قد يؤدي في الغالب إلي تفعيل استجابات الضغط .

وللتأكد من هذه الفكرة النظرية قام الباحثان **Parker & Kulik** عام ١٩٩٤ بإجراء دراسة بعنوان:

Burn out, self, and supervisor – related job

حيث اشتملت عينه الدراسة علي مجموعة من الممرضات بلغ عددهن ٧٣ ممرضه، وبعد تطبيق اختبار إدراك الضغوط المهنية

واختبار المساندة الاجتماعية **Social Support** في مجال العمل، وبعد الاطلاع علي تقارير المشرفين عن عمل الممرضات، من حيث مدي التزامهن بأداء واجباتهن الوظيفية، والمداومة علي العمل دون أعذار، وعلاقات الدفء بينهن، وخرجت الدراسة بنتيجة مؤداها وجود علاقة ارتباطيه داله بين الإحساس بالإكراه والإجبار ومظاهر تفعيل الضغوط من قبيل التغيب ، وضعف الأداء، وكثرة المخالفات السلوكية والشعور بالاضطهاد المهني.

وعلي الرغم من إيجابية النتائج التي خرجت بها دراسة **Parker & Kulik 1995** إلا أن الدراسة لم توضح لنا طبيعة العلاقة بين مشاعر الإكراه الوظيفي "العمل دون الإحساس بالمتعة والإثارة والدافعيه" وبين استجابات الضغط التي تم تفعيلها "التغيب / المخالفات السلوكية / ضعف الأداء" فالدراسة لم توضح بعد السبب والنتيجة في هذا السياق، هل الإحساس بالإكراه لدي الممرضة أدي إلي استجابات الضغط، أم أن تلك الاستجابات هي التي أدت بدورها إلي تولد الشعور بالإكراه، أو بعبارة أخري : هل ضغوط العمل تفوق قدرة الممرضة علي تحملها ومن ثم اللجوء إلي أسلوب الإكراه والتعامل مع المحددات المهنية بنوع من السطحية واللامبالاه؟ أم أن مجرد إحساس الممرضة بالإكراه هو الذي أدي بها إلي ادراك محددات العمل بوصفها مصدراً للضغوط؟ .. هذا فضلاً علي أن الدراسة اعتمدت في تقدير الإحساس بالإكراه علي سجلات المشرفين وكشوف الغياب، وهذه متغيرات قد تكون بعيدة – إلي حد

ما – عن مشاعر الإكراه التي تناولها الباحثان، فقد يكـون التغيـب لأسباب صحية أو أسريه، وقد تكون المخالفات السلوكية فـي بيئـة العمل لاعلاقة لها بنوعية العمل في حد ذاته من حيـث الميـل لـه "الحب" أو الرغبة في الابتعاد عنه "الكرة" يقدر اتصالـه بالعلاقـات الإنسانية بين الزملاء والمشرفين .. الخ.

وعلي الرغم من كل ما سبق فإن الإحسـاس بـالإكراه وأداء العمل بشكل يفتقد الدافعية والرغبة في الإنجاز، يظل أحد مظـاهر الضغوط المهنية التي ينبغي أن نوليها الاهتمام البحثي المناسب فـي إطار دراستنا للضغوط المهنية لدي الموظفيـن والعـاملين، وذلـك بالبحث عن الأساليب التي تتسم بالترغيب والإبتعاد قدر المسـتطاع عن الأساليب التي تتسم بالترهيب **(Parker & Kulik, 1995)** .

واستكمالاً لهذه النوعية من الدراسات الارتباطية التي تحـاول الربط بين الضغوط المهنية الواقعة علي الموظفين والآثار التفعيليـة للضغط كما تتبدي في كثرة الغياب وكثرة المخالفـات السـلوكية ، وكذلك سوء التوافق المهني مع الزملاء والمشرفين والعمل .

قام الباحثان **Heaney & clemans 1995** بإجراء دراسـة بعنوان:

occupational stress physician

وانطلق الباحثان من أن كثرة الغياب قد تكون نتيجة للإحسـاس بالضغط المهني، وللتأكد من تلك الأطروحه النظرية، تم تقسيم عينه

الدراسة إلي مجموعتين من الموظفين ، أحدهما تغيبت كثيراً بعذر Absence – Excused والأخرى تغيبت دون عذر Not Excused حيث بلغ العدد الإجمالي لعينه الدراسة ٩٩٨ موظفاً، واشترط الباحثان أن يكون التغيب بعذر نتيجة الوعكات الصحية فقط، بحيث تم استبعاد كافة الأعذار الأخرى غير الطبيه، وللتأكد من مشروعية العذر الصحي "المرضي" تم إجراء الكشوف الطبية علي أفراد العينة المختارة **By physician** ثم قام الباحثان بتطبيق استبار الضغط المهني والذي تضمن العديد من المتغيرات مثل صراع الدور **Role conflict** والظروف الفيزيقية الضاغطة **Environment. Stresses – Physical** والضغط الكلي للعمل **overall work stress** علي كلا المجموعتين من الموظفين "الغياب بعذر مرضي ، الغياب دون عذر " .

وبعد إجراء التحليلات الإحصائية للبيانات ، خرجت الدراسة بنتيجة مؤداها وجود ارتباط دال بين مستويات الإدراك المرتفع للضغوط المهنية، وبين الغياب بعذر طبي، وذلك بالنسبة لكل بعد من الأبعاد المتضمنة في إستبار الضغوط المهنية.

أما عن أصابه الموظف باضطرابات القلب والتي يرجعها البعض إلي كثرة الضغوط المهنية الملقاه علي عاتق الموظف، فقد أشار الباحث **Hendrix 1991** في دراسة بعنوان :

related Health promotion Model – Development of stress

إلي عدم وجود علاقة بين إصابة الموظفين في الدراسة بأمراض القلب والضغوط المهنية، وإنما هناك عوامل أخري من قبيل زيادة الوزن، والتدخين المزمن، وإهمال التمرينات الرياضية، والعمر، والنوع، أما عن ارتباط الضغوط المهنية بالمستوي الصحي العام للفرد فقد أوضحت الدراسة تأكيد تلك العلاقة.

ومن ضمن النتائج التي خرجت بها أيضاً تلك الدراسة وجود علاقة إرتباطية داله بين زيادة الضغوط بعامه (مهنية – غير مهنية) مع متغيرات التغيب عن العمل، والرضا عن العمل والالتزام الوظيفي (Hendrix: 1991) .

وعلي نفس الهدف البحثي الرامي إلي محاولة التأكد من مدي تأثير الضغوط المهنية علي المستوي الصحي والفسيولوجي للموظفين والعمال قام الباحث Carrere 1991 بعمل دراسة استهدفت التعرف علي أثر الضغوط المهنية علي مستوي الأداء الفسيولوجي لمجموعة من العمال في مدينة بونج بيتش (كاليفورنيا)، وقد أتضح من خلال الدراسة أن الموظفين الذين يعانون مستويات مرتفعه من الإجهاد والتوتر في العمل، ارتفعت مؤشرات ضغط الدم لديهم بشكل واضح، بالمقارنة بالذين يبذلون جهداً وتوتراً أقل، وكذلك اضطراب في ضربات القلب وارتعاش الأطراف واصفرار الوجه (Carrere : 1991)

وعلي الرغم من منطقية النتائج التي خرجت بها دراسة Heaney السابقة " الارتباطية" إلا أنها لم توضح لنا سؤالاً مؤداه .. هل كثرة التوعكات الصحية والمرضية هي السبب في ارتفاع الدرجة علي استبار الضغط المهني أم أن الضغط المهني هو السبب في كثرة التوعكات الصحية، ففي بعض الأحيان يقع الفرد تحت شدة الضغط المهني إلي الإصابة بالعديد من الاضطرابات السيكوسوماتيه، والتي تحول بينه وبين ممارسه أداء أدواره المهنية بكفاءة واقتدار، هنا تصبح الضغوط المهنية السبب المباشر في حالته الصحية، وفي أحيان أخري قد يكون الفرد معتلاً صحياً ,من ثم النظر إلي الأعباء الوظيفية – علي الرغم من بساطتها – بوصفها مثيرات ضاغطة، لذا فالنتيجة المستخلصه لم توضح لنا علي وجه الدقه السبب والنتيجة ، واكتفت بمجرد إظهار العلاقة الارتباطية فقط، الأمر الذي يجعل التغيب بدون عذر أقرب إلي الإرتباط بضغوط العمل بالمقارنة بالعذر المرضي، علي اعتبار أن الشخص الذي يعاني من كثرة الضغوط المهنية قد يكون اكثر جرأة في تفعيل السلوكيات التي من شأنها تخفيف حدة الضغط ومنها التغيب دون عذر.

حاولت بعض الدراسات الوقوف علي بعض المتغيرات الديموجرافيه والتعرض للضغوط المهنية لدي الموظفين، مثل الفروق في الأعمار، والنوع ، والمستويات الثقافية، والتعليم ، وكلها متغيرات يمكن أن تتباين في حال ربطها بمتغير مدي إدراك

الموظف لكم وكيف الضغوط الملقاه عليه، ومن ثم كيفيـــة التعـــامل معها، وتحقيقاً لهذا الهدف قام فريق مـــن الباحثيـــــــن يرأســـهم **Birdi 1995** بدراسة تحت عنوان :

.Being – Age Differences in three comports of employee well

وكان الهدف الرئيسي محاولة التعرف علي طبيعة العلاقة بين عمر الموظف **Employee age** وبين ثلاث متغيرات بحثية مثـل الرضا والإشباع الوظيفي **satisfaction – job** وضغوط العمـــل **stress – Job** والملل من العمل **boredomlj – Job** .

وقد تمت إجراءات الدراسة مـــن خـــلال برنـــامج المســـح الاجتماعي الدولي علي عينة كبيرة من الموظفين بلغ عددهـــم ٦٩٤ من النمسا، ٤٨٧ موظفاً من بريطانيا، ٣١٩ موظفاً مـــن ايرلنـــدا ، ٣٤٧ موظفاً من إيطاليا، ٥٠٣ موظفاً من هولندا، ٢٢٨ موظفاً مـــن ايرلندا الشمالية ٧٤٠ موظفاً من النرويج، ٥٨٢ موظفاً من أمريكا ، ٤٥٦ موظفاً من ألمانيا الغربية.

وقد خرجت الدراسة المسحية بأن متغير العمر يرتبط ارتباطاً دالاً وطردياً مع متغير الرضا عن العمل، فكلما تقدم الفرد في العمر كلما كان أكثر إحساسا بالرضا عن عمله وقد يرجع ذلـــك إلـــي أن التقدم في العمر بما يصحبه من نضج عقلي ونفسي وأجتماعي يؤهل الفرد للتعامل مع المحددات الوظيفية وفقاً لمؤشرات النضج والخـبرة والممارسة. كذلك وجود علاقة ارتباطيه معكوسة بين العمر وتحمـل

الضغوط، فكلما تقدم الفرد في العمر كلما قـــل إدراكـــه للضغـــوط المهنية والتي يفسرها الباحثون من منطق الألفة والخبرة والإعتيـــاد، أما عن علاقة العمر بالملل والسأم من العمل، فلم يتضـــــح وجـــود علاقة إرتباطية بين هذين المتغيرين (Birdi et al 1995).

هناك العديد من الوظائف التي تتضمن بحكم طبيعتها بعـــض المخاطر الوظيفية علي من يقومون بأدائها . الأمر الذي يجعل تلـــك الوظائف تمثل ضغطاً علي من يمارسونها، من قبيل عمال الدفـــاع المدني وإطفاء الحرائق والإغاثة والطوارئ وأطباء مرضي الإيـــدز، الأمر الذي يشير في أحد المستويات إلي ضـــرورة النظـــر بعيـــن الاهتمام إلي طبيعة الأعمال المهنية التي يقوم بها الموظف أو العامل أثناء دراسة الضغوط المهنية، مـــن هـــذا المنطلـــق قـــام البـــاحث Cushman1995 بدراسة تحت عنوان :

occupational stress among aids soial sernice

حيث قام الباحث ومعه فريق من البـــاحثين بدراســـة ثـــلاث مجموعات من الأفراد العاملين في حقل علاج مرضـــي الإيـــدز ، الأولي تمثل مجموعة الموظفين الاجتمـــاعيين: **social workers** والمجموعة الثانية **counselors** والمجموعة الثالثة تمثل مجموعـــة من الأطباء **Health educators** وتم تطبيـــق أحـــد اختبـــارات الضغوط المهنية، والذي تم تصميم بنوده من خلال نوعية المخـــاطر

التي يمكن ان يتعرضوا لها وفقاً للتخصص المهني النوعي لكل مجموعه.

وبعد تحليل المؤشرات الإحصائية خرجت الدراسة بارتفاع درجة الضغوط المهنية لدي المجموعات الثلاثة من المتعاملين مع مرضي الإيدز، الأمر الذي دفع بالباحث **Cushman** إلي القول بضرورة إخضاع العاملين والموظفين الذين يتعاملون مع الحالات الخطرة مثل مرضي الإيدز لدورات تدريبية مكثفة بغرض إكسابهم مهارة التعامل دون توجس أو خوف من انتقال الأمراض إليهم ، وبالفعل تم تصميم برنامج تدريبي، أشترك فيه بعض هؤلاء الموظفين (برنامج إرشادي)" .

ثم قام الباحث بتطبيق نفس الأداة التي استخدمت من قبل "الضغوط المهنية" .. وقد اتضح انخفاض درجات هؤلاء الموظفين علي مقياس الضغوط عندما تمت مقارنتهم بمجموعة أخري من الموظفين لم يتلقوا البرنامج التدريبي الإرشادي.

واستكمالاً لتلك النوعية من البحوث التي تتصدي للضغوط المهنية للأعمال والوظائف ذات الطبيعة الخطرة قام الباحث **Bleck1988** بإجراء دراسة علي مجموعة من الموظفين العاملين علي رعاية مرضي الإيدز، وأشارت النتائج إلي أن فوبيا الإيدز دائماً ما تنتاب العاملين الذين تقل فرصه اختلاطهم بالمرضي، علي حين تقل مع العاملين الذين يتصلون أكثر بالمرضي، نظراً

لمعلوماتهم الدقيقة بالمرض وكيفية انتقاله وطرق الوقاية منه هذا فضلاً عن ارتباط فوبيا الإيدز بالمراحل العمرية الأكبر للموظفين بالمقارنة بالأقل عمراً (Bleck : 1988).

إن دراسة Cushman تثير الانتباه إلي ضرورة الأخذ في الاعتبار الطبيعة النوعية للإطار المهني الذي يعمل من خلاله الموظف، فلا يكف فقط التعرض للضغوط الوظيفية الخاصة بالعبء الوظيفي والساعات الإضافية، وطبيعة الأشراف، والظروف الفيزيقية فقط ، ولكن علاوة علي ما سبق ينبغي التعرف علي المخاطر التي تنطوي عليها مثل تلك الوظائف، أن إهمال مثل هذا الجانب "مخاطر الوظيفة" سوف يؤدي إلي نتائج بحثيه مضلله.

ولعل الدليل علي ذلك ما خرج به الباحث **Gibbs1993** في دراسته التي تحمل عنواناً مؤداه.

Effects of disstress on emergency workers.

حيث أشار من خلال دراسته للحالة النفسية والانفعالية لمجموعة من عمال الطوارئ، الذين يتعاملون يومياً مع حالات الاحتراق والأجسام الممزقة والأعضاء المبتورة وكافة صور الدمار، إلي انهم كانوا يعانون من مشاعر الاكتئاب ، وبعض مظاهر العنف والتبلد، الأمر الذي يشير إلي ضرورة النظر إلي الطبيعة النوعية للمهام الوظيفية أثناء التصدي لقضية الضغوط المهنية

. (Gibbs: 1993)

ويتفق مع تلك النتائج ما توصل إليه أيضاً الباحث **Innes1990** عندما أجرى دراسته علي عمال الطوارئ وذو الأعمال والمهام الصعبة. كذلك تشير هذه الدراسة إلي الأهمية الإجرائية المرتبطة بعقد الدورات التدريبية للعاملين في تلك المهن الخطرة، فمن شأن تلك البرامج التدريبية سواء كانت (إرشادية أو توجيهية الإقلال من حدة التوتر ومن ثم دفع الفرد لمواجهة المواقف بثبات ووعي، قد لايتوفران لدي من لم يتلق بدوره مثل تلك البرامج، ونحن أحوج ما يكون لعقد برامج تدريبية للعاملين في المجالات ذات الطبيعة الخطرة مثل القائمين علي نزع الألغام والمتفجرات وعمال الطوارئ والدفاع المدني والحرائق وأطباء أمراض الإيدز

والسرطان.. الخ لأن التوتر المرتبط بأداء تلك الواجبات قد يعرض الفرد للعديد من المخاطر قد تصل إلي حد الهلاك.

وإذا كانت طبيعة العمل بما تتضمنه من مخاطر بحكم طبيعتها أحد محددات الضغط المهني، التي قد تواجه الموظف أو العامل، فإن كثير من الباحثين يرون أن الضغوط المهنية قد تكون نتيجة لضغوط أخري تخرج عن دائرة المهنة والأعمال التفصيلية، بل تخرج تماماً عن الإطار المهني العام، ويدللون علي صدق تلك الرؤية، بأن الفرد الذي يتعرض لضغوط أسريه مثلاً قد يكون أكثر توتراً أثناء قيامه بمهامه الوظيفة، ومن ثم ضرورة البحث عن كافة مصادر الضغوط الخارجية "غير المهنية" ومحاولة حلها إذا أردنا توافقاً مهنياً بالمعني الاصطلاحي العام .

وتأكيداً لتلك الفكرة قام الباحث **Raber1995** بدراسة تحت عنوان :-

Women in the workplace: implication for child care

حيث قام الباحث باختيار مجموعتين من النساء العاملات في مجال التأمين ، الأولي لديها أبناء في سن الرعاية وتم وضعهم في أماكن مخصصة لرعاية الأطفال في إطار الشركة التي يعملون بها، والمجموعة الأخرى نساء يعملن في نفس الوظيفة، ولديهن نفس العدد من الأطفال، ولكن لا تسهم الشركة في توفير المكان الخاص بتقديم الرعاية لأطفالهن.. ثم قام الباحث بتطبيق أداه لتقدير الضغوط

المهنية علي المجموعتين من النساء (مجموعة السيدات اللاتي يتلقي أبنائهن رعاية في إطار الشركة / مجموعة السيدات اللاتي لم يتلق أبنائهن الرعاية في إطار الشركة" .

وقد أظهرت النتائج المستخلصة ارتفاع درجات المجموعة الثانية من السيدات علي أداة تقدير الضغوط المهنية بالمقارنة بالمجموعة الأولي .

إن نتائج بحث **Raber** تشير في أحد المستويات إلي أن واجبات العمل بحكم طبيعتها قد لا تشكل مصدراً للضغط لدي الموظف . بقدر تدخل بعض الظروف الخارجية لتصبح بدورها مصدراً للضغط المهني، مع أنها تخرج بحكم نوعيتها عن إطار الضغوط المهنية، مثل الموظف الذي يعمل في مجال وظيفي معين ويشعر بالرضا من خلاله، ولكن بمجرد ارتباطه بمواعيد خروج أبنائه من المدرسة، قد يسبب له توتراً بحيث يجعله يشعر بالضغط مع ما يصحب ذلك من تفعيلات سلوكية، قد تؤثر بدورها في كيفية أدائه لمهامه الوظيفية، وتأكيداً لهذا الإطار قام الباحث **Augestad 1992** بدراسة تحت عنوان :

Health and job stress Among Employees in a Norwegian

أكد من خلالها أن كثرة الضغوط الاجتماعية الملقاة علي عاتق الموظف قد تدفعه إلي سرعة الإحساس بالضغط المهني في إطار بيئة العمل، خاصة في مجال القيادة والاتصال، وتنفيذ الأهداف

الوظيفية، وتزداد هذه الضغوط حدة كلما زادت في المقابل الضغوط الاجتماعية، من قبيل مرض أحد أفراد الأسرة، والضغط المادي (الاقتصادي) وحدوث الخلافات الأسرية، والمعاناة من المشكلات الصحية، وقد طالب الباحث في نهاية بحثه علي ضرورة قيام المؤسسات بعقد الدورات الإرشادية للموظفين، للإقلال من حدة الضغوط الاجتماعية التي تواجهم خارج حدود العمل للإقلال تباعاً من حدة ضغوط العمل.

. (Augestad :1992)

أن نتائج بحث كل من Augestad Raber تطالبنا بضرورة النظر إلي الموظف نظرة كلية شمولية، فإذا كان الأخصائي النفسي والاجتماعي في المجال المدرسي يتولى مهمة توافق التلميذ تحصيلياً واسرياً واجتماعيا، من خلال الوقوف علي كل العوامل التي من شأنها إحباط التلميذ وعرقله استمراره دراسياً داخل البيئة المدرسية، فإن الأمر لا يختلف كثيراً لدي العامل أو الموظف من حيث قيام الأخصائي النفسي المهني بدراسة حالته والبحث عن كافة مضادر الضغوط لديه، والبدء في إخضاعه للجلسات العلاجية أو الدورات التدريبية .. ولن يتأتى ذلك إلا بإثارة الوعي لدي الموظفين وحثهم علي مراجعه القائمين علي تقديم الخدمات الإرشادية والتوجيهية في المجال المهني .

وتحقيقاً لهذا الهدف قام الباحث Lowe عام ١٩٩٥ بعمل دراسة تحت عنوان :

Stressful working conditions and Union Dissatisfaction

حاول الباحث من خلال دراسته التأكد من صحة الفرضية القائلة بأن الموظف الذي يعاني من الضغوط المهنية يصبح أكثر تردداً لطلب المساعدة والدعم من قبل الجهات المعنية بعمله (النقابات / مكاتب الخدمة النفسية) .

وللتأكد من تلك الفرضية قام الباحث بعمل مسح لكافة الموظفين "عمال البريد الكنديين" المترددين إلي نقابتهم (اتحادهم) والذين يشكون من كثرة الضغوط المهنية الملقاة عليهم وفي المقابل قام الباحث بحصر الموظفين الذين لم يسبق لهم التردد علي تلك المكاتب .. فوجد ارتباط دال إحصائياً بين كثرة التردد وبين انخفاض درجات الرضا الوظيفي والإحساس بالضغط المهني.

. **(Loer, 1995)**

تشير الدراسة السابقة إلي أن العامل الذي يعاني من كثرة الضغوط في مجال بيئته المهنية، سرعان ما يشعر بعدم الارتياح وعدم الرغبة في مواصلة العمل المهني المنوط القيام به ، الأمر الذي يجعله عرضي لشتى أنواع الاضطرابات سواء كانت نفسية أم جسمية ، مما يدفعه في النهاية إلي مراجعة المسئولين عن العمل بحثاً عن الحلول التي من شأنها تخفيف أعباء الضغوط المهنية .. إن

دراسة **Lowe** تطالبنا بالتفكير البحثي في ذلك الكم الكبير من الموظفين، الذين يترددون بصفة مستمرة علي رؤسائهم وقادتهم طلباً للحماية والمساعدة ، لأن مثل هذه الحالات قد تخفي ورائها نوعاً من عدم الرضا المهني، والإحساس بالضغط مما يتطلب ضرورة مقابلتهم ومناقشه ما يريدون و تقديم المساعدة المهنية في ضوء البرامج الإرشادية والتوجيهية العديدة .

فإحساس الموظف بالضغط ومراجعته للمسئولين قد لاتخفي ورائها ضغوطاً مهنيه فقط وإنما قد تكون ضغوط أخري تخرج بحكم طبيعتها عن الإطار المهني اسرياً واقتصادياً، ومع ذلك ينبغي الاهتمام بها وتقديم المساعدات المناسبة في إطار كل حاله نوعية، ويدلل الباحث Berger عام ١٩٩٤ بأن كثرة الأدوار الوظيفية والاجتماعية الملقاه علي عاتق الموظف، قد تدفعه للإحساس بالضغط المهني، لأن صراع الأدوار قد يؤدي حينئذ إلي التشتت وعدم التركيز، مما ينعكس بالسلب علي المهام الوظيفية.

وللتأكد من تلك الفرضية قام الباحث **Berger** بدراسة تحت عنوان : -

Perceived stress, Gender and ethnicity matter

حاول الباحث من خلال دراسته التأكد من مدي قدرة الموظف المتعدد الأدوار علي تحمل الضغوط المهنية ، والمقصود بالتعدد في هذا السياق قيامه بدوره المهني، ودوره كزوج، وقيامه كذلك بدور

الزوجة في العناية والرعاية بالأبناء، وكذلك الموظفة التي تقوم بدورها المهني، ودورها كأم في تربيه أبنائها ودور الزوج أيضاً .. بلغ عدد أفراد عينه الدراسة ١١٥ موظفاً ١١٩ موظفه من الأمريكان والإنجليز، وبعد تطبيق أحد مقاييس الضغوط المهنية، خرجت الدراسة بأن زيادة الأعباء الوظيفية وتعددية الأدوار الاجتماعية، قد يؤدي في المقابل إلي زيادة الضغوط التي تؤثر بدورها علي إنتاجية الفرد، وأداء الواجبات الوظيفية.

.(Berger: 1994)

وفي دراسة أخري تتصل بصراع الأدوار لدي الموظف وعلاقتها بالضغوط المهنية قام الباحث **Thompson 1993** بإجراء دراسة تحت عنوان :

Job-Family conflict and overload

حاول الباحث من خلالها الكشف عن أثر الصراعات الأسرية التي يعايشها الموظف علي مدي رضائه عن العمل وإحساسه بالضغط المهني، وتحقيقاً لهذا الهدف قام الباحث باستبصار مجموعة كبيرة من الموظفين علي أحد الاختبارات التي تقيس التوتر المرتبط بنشئه الأبناء والصراعات الخاصة بعملية التربية (العلاقة مع الأبناء) .. وتم تحديد ٢٣٤ موظفاً حصلوا علي أعلي الدرجات الخاصة بسوء التوافق الأسري، ثم قام الباحث بتطبيق أحد الاختبارات الخاصة بإدراك الموظف للضغوط في بيئة العمل.

وخرجت الدراسة بأن زيادة الأعباء والوالدية لدي الموظف في علاقته بأبنائه، انعكست بشكل سلبي علي مدي رضائه المهني، وارتفاع مؤشرات الضغط المهني، لديه من قبيل ضعف معدلات إنتاجه، وكثرة المخالفات السلوكية مع زملائه، وعدم الامتثال لأوامر ونواهي رؤسائه، وكثرة التغيب دون أعذار.

(Thompson &Blau, 1993)

إذا كانت الدراسة السابقة تشير أن إلي أن تعددية الأدوار قد تسبب الإحساس بالضغط المهني، فإن **Berger** لم يوضح خلال دراسته طبيعة تلك الأدوار، وما إذا كانت تحمل خاصية العبء والإلزام والإكراه، أم أدوار تتسم بالدفء والحب والرغبة في القيام بها وتأديتها) فالدور الوالدى أو الأمومي قد يكون في كثير من الأحيان من الأدوار الجوهرية والدافعة إلي التقدم، وقد يكون في بعض الأحيان أحد دوافع التوتر خاصة إذا كان التوافق الزواجي يتسم بالسلبية، وكثرة الصراعات والمشاجرات.

فالعبرة ليست بتعددية الأدوار وإنما بالطبيعة النوعية لهذه الأدوار، ومدي إشباع كل دور للفرد، ومدي قدرته علي تحقيق التناغم والتجانس بينها، فالموظف الذي يشعر بالرضا والإشباع في بيئة عمله، ويتسم كذلك بالتوافق الزواجي والأسري في محيط أسرته، ويشعر بالراحة ومشاعر الدفء في قيامه بدور الصديق، ودوره كذلك كأحد أعضاء الجماعات النقابية أو الأندية، لن

يشعر حينئذ بالضغط نتيجة تعددية تلك الأدوار، وذلك علي العكس من آخر يقوم بلعب تلك الأدوار دون الرغبة او توفر مشاعر من الدفء..

إذا كانت دراسة Berger تطرقت للعلاقة بين عدد الأدوار التي يقوم بها الموظف والضغوط المهنية الواقعه عليه، فإن العديد من الباحثين تطرقوا لقضيه الجو الأشرافي والأساليب الأدارية التي يتعامل بها المديرون والمشرفون مع العمال والموظفين، واعتبروا أن تلك الأساليب أحد مصادر الضغوط المهنية والتأثير السلبي علي إنتاجية العامل أو الموظف، ومن ثم إحساسه بالضغط.

ففي دراسة قام بها الباحث **Lind1994** ومعه فريق من الباحثين تحت عنوان:-

Management style, Meiating variabls and stress

حاول الباحث من خلال هذه الدراسة التعرف علي العلاقة الارتباطية بين أسلوب الإدارة، ومدي إحساس الموظف بالضغط المهني، وتم تطبيق اختيار للجو الإشراف والإداري " ديموقراطي / استبدادي) وتم تقسيم العينة الإجمالية وعددها ٣٥٥ إلي مجموعتين، أحدهما تدرك الأساليب الإدارية والإشرافية بوصفها داعمة وميسرة والأخرى تدركها بوصفها محبطه وعدائية .. ثم قام الباحث بتطبيق أحد اختيارات الضغوط المهنية علي المجموعتين من الموظفين.

وأشارت النتائج بوجود علاقة ارتباطيه دالة بين نوعية الإشراف وكم وكيف الضغوط، فكلما زادت حدة الإشراف كلما

زادت حدة الضغوط المهنية والعكس يبدو صحيحاً في هذا السياق، (Lind : 1994) مؤشرات بحث Lind تساير جمله كبيرة من الدراسات أكدت نفس الفرضية البحثية، لأن الجو الإداري الذي يتسم بالشدة والاستبداد والتصلب، يدفع الموظف إلي التوتر ومن ثم إلي مزيد من الشعور بالإحباط، ولعل ذلك ما دفع ببعض الباحثين إلي اختيار فرضيه مدي إحساس الموظف بالسعادة، وعلاقة ذلك بالضغوط المهنية التي يواجهها في بيئة العمل . ففي بحث بعنوان : **Measuring Gender differences in occupational stress**

حاول الباحث **Spielberger** من خلال هذه الدراسة التعرف علي بعض المتغيرات مثل الإحساس بالسعادة **Well Being** والصحة **Health** والتغيب **Absenteeism** والإنتاجية **Productivity** في علاقتها بالضغوط المهنية، لدى عينه من الموظفين والموظفات، وبعد تطبيق اختبارات الضغوط المهنية واختبارات الإحساس بالسعادة والصحة العامة، وبعد عمل مسح لعدد أيام التغيب وكم وكيف الإنتاج الخاص بالموظفين والموظفات.

أشارت النتائج إلي وجود علاقة ارتباطيه طرديه بين كثرة الضغوط المهنية وعدم الإحساس بالسعادة والاكتئاب، وكذلك وجود علاقة عكسية مع متغير الصحة، كلما زادت الضغوط كلما قل إحساس الفرد بالصحة العامة وكثرة الشكاوي الخاصة بالإعتلالات البدنيه، ووجود علاقة ارتباطية داله بين كثرة الضغوط وكثرة التغيب، ووجود علاقة عكسيه بين كثرة الضغوط وقله الإنتاجية .

ويشير الباحث **Spielberger** في هذا الصدد أن الإقلال من حدة الضغوط المهنية في مجال العمل من قبيل الجو الإشرافي الإيجابي، وتخفيف الأعباء الوظيفية والإقلال من تعددية الأدوار التي يقوم بها الموظف ستؤدي في المقابل إلي إحساس الموظف بالسعادة والهدوء ومن ثم عدم تغيبه وزيادة إنتاجيته وشعوره باكتمال جوانبه الصحية **(Spielberger, 1994)**

هل هناك علاقة بين السمات الشخصية للموظف وصراعاته الشخصية ودرجة إدراكه للضغوط المهنية في مجال العمل، للإجابة علي هذا السؤال قام الباحث **Appelberg 1996** بإجراء دراسة تحت عنوان :-

:Interpersonal conflict as a predictor of work disability

تم من خلال هذه الدراسة تطبيق عدة اختيارات فرعية علي مجموعة كبيرة من الموظفين والموظفات عن طريق المسح البريدي، وذلك لقياس الصراعات الزوجية **Marital Conflict** والوضع الزواجي **status – Marital** والعدائية **Hostility** والعصابية **Neuroticism** وعدم الرضا عن الحياة **Life dissatisfaction** والخبرات الضاغطة **stress – Experienced** والضغوط المهنية **oc. Stress** .

وقد خرجت الدراسة بإن الصراعات الزوجية كانت من المتغيرات المنبئة بعدم القدرة علي التكيف في العمل، أما العصابية

والعدائية فقد ارتبطتا بدورهما بالضغوط المهنية بشكل دال، فالموظف ذو الشخصية العصابية أكثر تمركزاً حول ذاته، وأكثر شعوراً بالإحباط والدونية، ومن ثم أكثر إدراكاً للضغوط المهنية، أما بخصوص تأثير النوع (الجنس) فقد أظهرت الموظفات تأثراً أكبر من الموظفين فيما يتصل بالصراع داخل العمل، فالصراعات الدائرة في مجال العمل لدي الموظفة من قبيل سوء التعامل الإداري والإشرافي معها، وكذلك صراعاتها مع زميلاتها في مجال العمل، أو ضعف إنتاجها، أو عدم رضائها عن العمل، كل تلك المحددات تنعكس علي مدي توافقها خارج نطاق العمل.

ويتفق مع تلك النتائج بحث آخر قام به **Jacobson1996** تحت عنوان :

The relationship between perceived stress and related Absenteeism –self. Reported illness

حيث أشارت نتائج هذه الدراسة أن الضغوط في مجال العمل جاءت في المرتبة الأولي بالنسبة لشريحة الموظفين، ثم الضغوط المالية ثم الأسرية، وذلك بعكس شريحة الموظفات حيث جاءت الضغوط الأسرية في المقدمة ثم المالية ثم ضغط العمل.. أما عن التغيب كأحد مظاهر عدم الرضا الوظيفي، فقد كان التغيب أكثر تكراراً لدي شريحة الموظفات بالمقارنة بالموظفين.

(Jacobson : 1996) .

أما عن دور النوع (الجنس) وأثر الاختلاط في أداء العمل علي مدي إنتاجية الموظفين والموظفات فقد قام الباحث Matin1993 بدراسة تحت عنوان :

Multiple Gender contexts and Employee

حاول الباحث من خلالها التأكد من مدي فرضية انفراد الموظفين مع بعضهم البعض، دون وجود موظفات معهم في مجال العمل أو انفراد الموظفات مع بعضهن البعض دون وجود موظفين معهن في مجال العمل وأثر ذلك علي الحالة النفسية والمزاجية أثناء أداء المهام الوظيفية، وكذلك التأكد من سلوك الأمانة لدي كليهما.

وقد أشارت الدراسة بأن الموظفات الإناث كن أكثر أمانة فيما يتصل بتبديدهن لمحتويات المخازن المسئولات عن الإشراف عليها، بالمقارنة بالموظفين العاملين في نفس المجال أما عن الحالة النفسية فقد أعربت شريحة الموظفين عن سعادتهم وارتياحهم النفسي حينما يشاركهم العمل مجموعه من الموظفات، أما الموظفات فقد أعربن أن راحتهن النفسية تظهر بشكل واضح في قيامهن بالأعمال بمفردهن دون وجود موظفين رجال معهم .

(Matin et al : 1993)

وعلي الرغم من منطقية نتائج بحث Appelberge إلا أن طرحه لنتيجة أن الرجال أقل نقلاً لصراعاتهم المهنية إلي مجال

حياتهم خارج العمل في حاجة إلي مراجعة، خاصة أن الإنسان وحدة واحدة غير قابله للانفصال والتجزئة، فالموظف الذي يعاني صراعات داخل عمله، لا يمكن أن نتخيله علي المستوي النظري في غاية الهدوء والسكنية خارج هذه المحددات المهنية، وإنما يقوم بتفعيل تلك الضغوط بشكل أكثر إجرائية، نظراً لتعددية قنوات تفاعله وكثرة محددات اتصاله بالعالم الخارجي، وهو مالايتوافر في الغالب لدي المرأة التي تتسم علي الجانب الآخر بمحدودبة المواقف التفاعلية خارج بيئة العمل ..

وإذا كانت دراسة **Appelberge** ركزت علي مدي قدرة كل من الموظف والموظفة علي تحويل الإحساس بالضغط المهني إلي خارج نطاق العمل، فإن الباحث **Lai1995** كان أكثر تحديداً في طرحه للسؤال التالي: - أيهما أكثر تأثير علي الشعور بالارتياح النفسي **Psychological Well Being** الضغوط المهنية أم الضغوط الأسرية، علي كل من الموظف والموظفة.

فالبعض يري أن العمل بالنسبة للرجل (الموظف) يمثل له قيمة نسبية كبيرة بالمقارنة بالمرأة التي يأتي عملها في مرتبه أقل من الرجل ، ومن ثم يتوقع هذا الفريق أن الاضطرابات في مجال المهنة ستصبح أكثر تهديداً لإحساس الرجل بالارتياح النفسي، في مقابل أن الاضطرابات في مجال الأسرة، ستحتل المرتبة الأولي في

إحساس المرأة (الموظفة؟ بالارتياح النفسي، وللتأكد من تلك الفرضية قام الباحث **lai** بدراسة تحت عنوان :

Work and family roles and psychological well being in Urban china.

حيث قام الباحث بإجراء دراسته علي مجموعتين من الموظفين والموظفات الصينيين من مدينة شنغاهاي.

وقد أوضحت الدراسة أن الضغوط المهنية كانت ذات تأثير واضح علي العينة الكلية من حيث إحساسهم بالارتياح بالمقارنة بالضغوط الأسرية، أما عن دور النوع (الجنس) فقد جاءت الضغوط الأسرية في مقدمه المصادر المسببة للشعور بعدم الارتياح لدي الموظفات بالمقارنة بشريحة الرجال (الموظفين) **lai 1995**.

إن النتيجة التي خرجت بها دراسة **Lai** والخاصة بأولوية العمل ومحدداته بالمقارنة بالمحددات الأسرية، تظل مرتبطة بالطبيعة النوعية للمجتمع الذي أجريت من خلاله الدراسة (الصين) .. الأمر الذي يدعونا في المقابل إلي محاولة تكرار مثل هذه الدراسة في عدة مجتمعات أخري "دراسات عبر حضارية" للتأكد من فرضية الدراسة، وتتفق مع نتائج بحث **Lai** دراسة أخري قام بها الباحث **Shima1993** علي مجموعة من الموظفين والموظفات اليابانيين.

في ضوء المؤشرات البحثية التي خرجت بها الدراسات الميدانية السابقة بخصوص الضغوط المهنية التي يعاني منها شريحة الموظفين، يتضح وجود عدة نقاط ينبغي وضعها في الاعتبار أثناء تناولنا بالدارسة للموظفين في مجتمعنا المصري..

١ – أن عدم نظر المسئولين والقادة والمشرفين إلي المشكلات الشخصية للموظف، والعمل علي إيجاد الحلول المناسبة لها، قد ينعكس بالقطع علي كفاءة الموظف في أدائه للأعمال والمهام الوظيفية، الأمر الذي يتطلب في المقابل ضرورة وجود قنوات من الاتصال المباشر بين الرئيس وموظفيه، لمناقشة تلك المشكلات وتحليلها وطرح البدائل الخاصة بحلها، إذا أردنا – نسبيا – الإقلال من حدة الضغوط المهنية :

٢ – إن عدم توجيه المسئولين والقادة والمشرفين للموظفين والعمال، وتوضيح أوجه الخطأ والقصور التي يقعون فيها، ومساعدتهم في حلها، قد يؤدي بمرور الوقت إلي استفحال الأخطاء، ومن ثم صعوبة مواجهتها .. الأمر الذي يتطلب في المقابل ضرورة الأشراف المباشر والمستمر والمتكرر للأخطاء وعلاجها، لأن من شأن هذه الخطوة أن تحدث تعديلاً وتصويباً للأخطاء، شريطة أن يتم ذلك في أجواء من التسامح والمرونة، بعيداً عن كافة مظاهر القسوة والاستبداد.

٣ – إن عدم إتاحة الفرصة من قبل المسئولين والمشرفين والإداريين للموظفين لإبداء آرائهم والاستماع إليها قد يكون أحد محددات الضغط المهني لدي الموظف، لأن الموظف الذي لاتتاح له هذه الفرصة قد يشعر بالتوتر والقلق، ومن ثم الانعكاس السلبي علي محدداته الوظيفية، هذا فضلاً علي أن عدم استماع المسئولين للموظفين والتعرف علي آرائهم، قد يقلص فرص التجويد والتحسين لدي القادة والرؤساء أنفسهم "التغذية المرتده" مما يشكل بدوره أحد المعوقات المهنية في بيئة العمل.

٤ – أن العلاقة داخل بيئة العمل لابد أن تكون أقرب إلي مشاعر الدفء الإنساني، منها إلي مشاعر العدائية والكراهية، لأن موقف العمل في حد ذاته موقفاً إنسانياً ينسحب عليه كل مايميز التفاعلات الإنسانية من أسس وقواعد، الأمر الذي يتطلب من المسئولين والمشرفين فتح قنوات التفاعل الإنساني مع الموظفين، من حيث مشاركتهم أفراحهم ومناسباتهم المختلفة، لأن من شأن هذه الخطوة أن تشعر الموظف بأنه عضو ينتمي إلي مؤسسة يتوحد بها ويعمل لصالحها .

ودون توفر هذا المناخ الإنساني، قد تتحول المؤسسة أو الشركة إلي ساحة من العدائية والتنافس، والرغبة في تحقيق المصالح الفردية علي حساب المصالح العليا، والتي تكون عادة أكبر من

مجموع الأجزاء المكونة لها .. فإحساس الموظف بالراحة النفسية في مجال عمله، يعد أحد محددات الإقلال من الضغط المهني.

٥ – ينظر بعض المسئولين والمشرفين والإداريين إلي الموظف بوصفه آله عليها تنفيذ الأوامر والنواهي فقط، دون أدني مراعاة لمشاعرهم وقدراتهم وخصائصهم النفسية، الأمر الذي يجعل الموظف في حاله من الإحساس بالنقص والدونية والعجز، لذا فإن مراعاة خصائص الموظفين، وتكليفهم بالمهام التي تتناسب وتلك الخصائص، يعد أحد المحددات الهامة نحو الإقلال من حدة الضغوط المهنية.

٦ – تمثل الطموحات المهنية لدي الموظف أحد محددات الرضا والإشباع الوظفي، الأمر الذي يتطلب من المسئولين مراعاة هذا الجانب لدي الموظفين، من حيث دعمهم الإنساني، ورفع روحهم المعنوية، وتقديم التسهيلات الممكنة من أجل تحقيق تلك الطموحات المهنية، لأن من شأن تحقيق هذا الهدف أن يجعل الموظف يشعر بذاته وبقدرته علي الارتقاء والتقدم، وفي نفس الوقت تتحقق الأهداف العامة للمؤسسة.

٧ – أن رفض المسئولين لاقتراحات الموظفين بشأن تطوير العمل، يعد أحد الأسباب الجوهرية في زيادة حدة الضغوط المهنية، فالموظف نظراً لانشغاله الدائم بأداء مهام وظيفته، يصبح أكثر قدرة علي إدراك كافة التفاصيل المرتبطة بهذه الأدوار

الوظيفية، ومن ثم أكثر قدرة علي تطويرها والارتقـــاء بـــها، حينئذ يصبح رفض هذه الاقتراحات من قبل المسئولين بمثابـــة رفض لعملية التطوير والتحديث، بكل ما يترتب علي ذلك مـن تداعيات سلبية سواء، علي مستوي الموظف أو جهة العمـــل التي يعمل من خلالها.

٨ – من الأهمية أن يشعر الموظف بالثقة الكاملة في أســـلوب إدارة المسئولين للمؤسسة، مما يعني ضـــرورة تمثـــل المســـئولين لأساليب العدالة في توزيع الأدوار ، وعدم المحاباة، وتوقيـــع الجزاءات علي من يقصر في أدائه لمهامه، مع طرح الإثابات علي من يجيد في عمله، فالثقة في المسئولين تعد أحد محددات الرضا الوظيفي، وفي حال انتقـــاء تلـك المحـــددات، يبـــدأ الموظفون في النظر إلي المســـئولين نظـــرة قوامـــها الشـــك والارتياب، مع كل ما يتصل بذلك من أساليب سلوكية تبتعـــد عن الأمانة في أداء المهام الوظيفية .. فالرئيس الذي يتعـــامل مع الموظف بالتقدير والاحترام عندما يتقن عمله ويتفانى فـــي أدائه، سيدفعه تباعاً إلي بذل مزيد من الجهد للحفاظ علي تلـك الصورة الإيجابية، والموظف الذي يجد لدي رئيسه المســـاعدة عند الاحتياج لها، سيصبح أكثر قدره علي العطاء والإنتـــاج، والموظف الذي يري رئيسه يهتم بأفكاره ويقدرهـــا ويجعلـــها محل التنفيذ والفعل، سيشعر بالرضا الوظيفي.

٩ – تمثل العلاقات بين الزملاء داخل بيئة العمل دوراً كبيراً في زيادة حدة الضغوط المهنية أو الإقلال منها، فالموظف الذي يعايش أجواء العدائية والتنافس السلبي، والتكتم والغموض وعدم الوضوح، والرغبة في الوصول دون بذل المجهود اللازم .. كل هذه المحددات قد تستنفذ من الموظفين جهداً نفسياً وانفعاليا يقلل بدوره من قدرتهم علي العطاء المهني .. لذا فالحرص علي العلاقات الإنسانية بين الموظفين وبعضهم البعض، قد يؤثر علي مدي إحساسهم بالضغط المهني من قبيل المساعدات المادية والمعنوية لبعضهم البعض، من خلال تعاطف الموظفين مع بضعهم البعض في خال مرورهم بصعوبات اجتماعية وأزمات انفعاليه، احترامهم وتقديرهم لبعضهم البعض، الزيارات المتبادلة.

١٠ – إن قيام المؤسسة بعقد الدورات التدريبية والتثقيفية من شأنه الارتقاء بمهارات وقدرات الموظفين، ومن ثم دفعهم لمواصلة مهام واجباتهم الوظيفية بكفاءة واقتدار، سواء كانت تلك الدورات تخص الجوانب الفنية للعمل أو تنمية المهارات السلوكية القائمة علي حسن التواصل والاتصال سواء مع بعضهم البعض أو في علاقتهم بالإدارة، مع ضرورة الاهتمام بتوفير برامج الرعاية الصحية والنفسية لهم.

الفصل الثالـــث

سيكولوجية التلميذ الجانح

الفصل الثالث
التلميـــذ الجانـح

يمثل السلوك والعنيف والجانح لـــدي التلميـذ داخـل البيئـة المدرسية أهمية كبيرة لدي الـــتربويين والقـائمين علـــي العمليـة التعليمية، ولسنا بصدد رصد الآثار السلبية الناجمة عن هذا الســلوك المشكل، سواء علي المستوي الشخصي للطالب من حيث إحساســه بعدم قدرته علي التوافق الاجتماعي، أو انخفاض مستواه الأكـاديمي والتحصيلي نظراً لكثرة مشاحناته وتغيبه وإيقافه عن الدراســـة، أو علي المستوي الدراسي العام من حيث التسرب والتأثير السلبي علي بقية الطلاب الآخرين الذين يدخلون معه في دائرة مـــن التفـاعلات السلبية .. وانتهاءً بالتأثير السلبي علي العملية التعليميـــة بوصفـها النتاج النهائي الذي ينبغي تضافر الجهود جميعها للوصول به إلـــي المستوي المنشود.

ويزخر التراث البحثي في هذا المجال بالعديد من الدراســـات الميدانية التي تعد نتائجها بمثابة مؤشرات يمكن الإفادة التطبيقية منها .. ففي دراسة حديثة قام بها الباحث **Feil** عام ١٩٩٦.

بعنوان:

Proactive Screening for yong children with behavior problememes. The early screening profect

حاول من خلالها دراسته التأكد من فرضية بحثيه مؤداهـــا أن التدخل المبكر الوقائي للسلوك الجانح واللا اجتماعي لأطفال مـــاقبل

المدرسة، يمكن أن يؤدي فيما يعد إلي الإقلال مـــن حـــدة الســـلوك العنيف ومن ثم التحكم فيه.

وتحقيقاً لهذا الهدف التطبيقي قام البـــاحث بثـــلاث مراحـــل متتالية، ففي المرحلة الأولي قام المدرسون بتصنيف التلاميذ بنـــاءً علي المظاهر الخارجية للسلوك، والتي يمكن ملاحظتها ورصدهـــا، أما المرحلة الثانية فقد قام المدرسون بمـــلء اســـتمارات "فحـــص السلوك" للتعرف علي جوانب السلوك العدائي والتفاعل الاجتمـــاعي والسلوك التكيفي لدي التلاميذ، وذلك للمطابقة بين نتائج الملاحظـــات الخارجية ونتائج التقييم الذي تم الانتهاء منه مـــن خـــلال الأدوات السيكومترية أما المرحلة الثالثة فقد انصبت علي ملاحظة الســـلوك الاجتماعي أثناء سير الحصص الدراسية، من حيث مـــدي امتثـــال التلميذ للأوامر والنواهي، وعلاقته بزملائه ومعلميه، وكذلك امتـــدت الملاحظات إلي خارج نطاق قاعة الدرس لتشمل تواجـــد التلاميـــذ المعنيين بالدراسة إلي الملاعب، وأماكن ممارسة الأنشطة، ثم أعقب ذلك قيام المعلمون بملء استبيان يعطي المزيد من المعلومات حـــول قدرة الطفل علي اللعب مع غيره من الأطفال، وطريقة اللعب مـــع المواد التي تم تقديمها لهم، ونوعية اهتماماتهم الذاتية.

وبعد التحديد الدقيق لهؤلاء التلاميذ تـــم إخضاعـــهم لبعـــض البرامج التدريبية، وتم متابعتهم في مراحل لاحقه، فوجدت الدراســـة انخفاضاً ملحوظاً في كم وكيف السلوك الجانح لديهم.

ويشير الباحث في نهاية البحث إلي أن التدخل التطبيقي المبكر لحالات جناح السلوك داخل المدرسة يمكن أن يقلل بدوره من حـــده الآثار السلبية المترتبة علي هذه السلوك (Feile : ١٩٩٦) .

وإذا كانت دراسة Feil ركزت علي السلوك الجانح واللاتوافقي للتلميذ مع أقرانه بوصفه أحد مظاهر السلوك المشكل، فـــإن بعـــض الإعاقات الجسمية من قبيل ضعف السمع، أو عدم الرؤية الجيدة، قد تمثل أحد مظاهر السلوك المشكل، وذلك ببســـاطة لأن مثـــل هـــذه الاضطرابات العضوية قد تحول بين التلميذ وإمكانية التفاعل الجيـــد داخل البيئة المدرسية، الأمر الذي يترتب عليها ضعف مشـــاركاته وضآلة استيعابه، مما يجعل المسألة تدخل في النهايـــة فـــي دائـــرة الإشكالية التي تتطلب ضرورة التدخل سواء العلاجي أو الوقائي.

وفي هذا الصدد قامت الباحثة Anna 1995 من جامعـــة تـــل أبيب بإجراء دراسة بعنوان:

Classroom interaction and the social sitution of hard of hearing pupils irgular classes

قامت الباحثة في دراستها بإخضاع ٢١٥ طالب ممن يعـــانون من ضعف السمع "الدرجات من ١ إلـــي ١١) ومجموعـــة أخـــري لايعانون من أي اضطرابات في السمع، من خلال المدارس العاديـــة بلغ عددهم ١٥٧ طالب، القيام بإجراء مقابلات مع الطلاب، مع عمل مسح حول كافة المتغيرات الخاصة بالأبوين والمدرسين.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلي وجود عدة عوامل قـد تجعـل إعاقة السمع بمثابة مشكلة لهؤلاء التلاميذ، يتصدرها البيئة الفيزيقيـة التي يتواجد فيها التلميذ والتي تتسم بالضوضاء وعدم إتاحة الفرصة له للإنصات وفقاً لقدراته الضعيفة في عملية السمع، وعدم تزويـده بالوسائل التي تمكنه من تنشيط حدة السمع لديه.

كذلك وجدت الدراسة انعدام المساندة والدعم الاجتماعي مـن قبل زملاء التلميذ المعاق سمعياً، الأمر الذي يـؤدي إلـي تقليـص فرص التفاعل النفسي والاجتماعي بينه وبين أقرانه.

كذلك وجدت الدراسة أن أساليب التدريس وتخطيط الـدروس لم يكن مراعياً للحالات النوعية لهؤلاء التلاميذ.

أما عن تفاعلات المعلمين معهم فكانت أقرب إلـي السـلبية منهـا إلي الاجتماعية من حيث الاهتمام بـهم والتواصـل معـهم (Anna: 1995) إن نتائج دراسة الباحثة Anna تشـير فـي أحـد المستويات إلي أن الإعاقة أياً كانت نوعيتها ودرجاتها في حاجة إلي تعامل واستراتيجيات تتناسب وطبيعة تلك الاعاقة، ومن ثم ضـرورة تواجد الكوادر البشـرية مـن المعلميـن والأخصـائيين النفسـيين والاجتماعيين ، والظروف الفيزيقية الملائمة، والتفاعلات الاجتماعية التي تتسم بالاتصال والتواصل الفعال التي تتناسب وتلك الإعاقات .

وفي إضافة أخري عن السلوكيات العدائية لبعـــض الطـــلاب داخل البيئة المدرسية قام البـــاحث Hill.M 1995 بكتابـــه مقـــال بعنوان:

Antisocial Behavior in school : strategies and Best practices.

تضمن المقال ضرورة تزويد أهل التخصص في مجال التربيـة والتعليم بطبيعة وأسباب السلوك الاجتماعي العدائي الصـــادر مـــن بعض الطلاب، وكيفية مواجهته، والتحكم فيه، وكيفية إعداد الـبرامج النموذجية لمنع وعلاج مثل هذه الاضطرابات التي تشيع في الكثـير من المدارس.

واعتمد المؤلف في عرضه علي نظرية التعلـــم الاجتمـــاعي Social learning من خلال التركيز علي العديد من الأبعاد يمكـــن أن تصبح مجـــالاً للدراسات الميدانية فيما بعد، مثل عرض نمـــاذج من السلوكيات العدائية الصادرة من الطالب تجاه زملائه ومعلميـــه وإدارته المدرسية مع رصد النتائج المترتبة عليها من خلال دينامية العلاقة، "رصد ردود الأفعال الصادرة مـــن المعتـــدي عليـــهم إزاء صاحب السلوك العدائي" .

كذلك أشار الكاتب إلي ما أطلق عليه مراحل السلوك الخـــارج عن التصرف (التورط)، والذي قد يدفع بالطالب إلي الاستمرار في سلوك يتسم بالعنف وغير متوقع، بحيث يصبح غـــير قـــادر علـــي

التوقف أمامه، مثل الانخراط في مشاجرة يدويه أو عراك بدني مـــع أحد الزملاء.

كذلك تعرض الكاتب لكيفية أعداد برامـــج وقائيـــة تســـتهدف التدخل المبكر بمجرد ظهور مؤشرات السلوك العدائي، سواء كـــانت تلك البرامج للطلاب العدائيين أنفســـهم أو المعلميـــن، أو الأقـــران وتطرق الكاتب إلي الاستراتيجيات الخاصة بعملية التعليم "مقـــورات" مناهج، وسائل إيضاح وطرق تدريس أمـــاكن القاعـــات" وأســـاليب الإدارة في داخل الفصل ، علي اعتبار أن هذه المحددات قد تلعـــب دوراً جوهرياً في تهيئة المناخ لصدور الســـلوك العدائـــي أو عـــدم ظهوره.

ثم تعرض الكاتب للمفهوم العلمي للتدريـــب علـــي الســـلوك التكيفي، وبرامج تنمية المهارات والممارسات الاجتماعيـــة، ودور الكبار (الوالدان / المعلمون) في المساعدة في البرامج التدريبية.

(Hill. M. 1995)

ان الأبعاد التي ذكرها **Hlill** في مقاله تشير بوضـــوح إلـــي أهمية التطرق لكافة الأبعاد التي تشكل السلوك العنيف للطالب داخل البيئة المدرسية، فمن الصعوبة تفسير السلوك العنيف للطالب بوصفه سمات شخصية بداخله فقط، وإنما تستدعي الضرورة الأخـــذ فـــي الإعتبار ردود فعل الآخرين حيال سلوكه العنيف "تدعيم / مســـاندة / رفض/ تمرد / عنف مماثل).. لأن من شأن هذه المعرفة الديناميـــة

في العلاقة بالآخر أن تلقي بظلالها علي فهم السلوك العنيـــف مـــن حيث استمراره وتأكيده "عادة" أو تعديله وتغيره .. كذلك لا ينبغـــي إهمال دور المعلمين في هذا الصدد بوصفهم مرشـــدين وموجـــهين ومعالجين في آن واحد، فإهمال السلوك العنيـــف للطـــالب وعـــدم الاكتراث به قد يؤدي في المقابل إلي مزيد من الخسائر والســـلبيات، والعكس يبدو صحيحاً في نفس السياق المطروح.

كذلك ينبغي الأخذ في الاعتبار مدي تواردیه وتكراريـــة الســـلوك العنيف من الطالب، حتي لا يقع في مأزق ســـيكولوجية التـــورط، فالطالب العادي قد يتورط في سلوك عنيف دون أن يكـــون مؤهـــلاً بحكم خصائصه النفسية لذلك، الأمر الذي يتطلب في المقابل دراســـة مثل هذه السلوكيات الخارجة عن التصـــرف "التـــورط" ...وبيـــان السلبيات المرتبطة بها، وكيفية الإقلال من الاقدام عليها عن طريـــق التدريب علي برامج ضبط النفس والتحكم في الانفعالات، والتدريـــب العقلاني الانفعالي وجلسات الاسترخاء.. الخ.

وعـــن تأثيـــر الظروف البيئيـــة داخـــل الفصـــل فـــي ظهـــور الاستجابات العدوانية من الطـــالب قـــــــام الباحثـــان Segal & Abbie1994 بأجراء دراسة بعنوان :

Understanding stndeut behavior in one fifth Grade . classroom as Cantextuall defined

حيث قام الباحثان بدراسة ٢٤ طالباً من الذين تم تحويلهم إلـــي مكاتب الأخصائيين النفســـيين والاجتمـــاعيين لارتكابـــهم بعـــض

المخالفات السلوكية داخل الصف الدراسي، من قبيل سب زملائـــهم، أو الاعتداء عليهم، أو تحطيم بعض الأثـــاث، أو تخريـــب بعـــض الأشياء أو سلوك السرقة، أو الضرب، أو عـــدم الامتثـــال لأوامـــر المعلمين، أو سلوك العناد والتصلب .. الخ.

وقد أشارت الدراسة بأن هؤلاء الطلاب بعد إجراء المقـابلات عليهم، أشاروا إلي وجود بعض المحددات داخل الصف قـــد تكـــون مسئوله عما بدر منهم من سلوكيات عدائية من قبيل عدم قدرة المعلم علي مناقشتهم بشكل عقلاني، ولجؤه إلي الاستخفاف بهم، ورفـــض فكرة الحوار المتبادل معهم، كذلك تكتل بعض الزملاء ضدهم "شـله" أو الازدحام، أو عدم القدرة علي الرد العلمـــي بخصـــوص بعـــض التساؤلات من قبل المعلم، مع ما يصاحب ذلك من تعليقـــات تتســـم بالسخرية والإقلال من شأنهم أو عدم مناسبة وقت الحصة "في نهاية اليوم الدراسي مع ما يستبع ذلك من إرهاق وشد عصبي"..

واختتم الباحثان الدراسة بضرورة الاهتمام بالمحددات داخـــل الصف بوصفها أحد محددات السلوك العدائي للطالب،.

و أشارت الدراسة أيضاً إلي انخفاض الدرجات التحصيليـــة للتلاميذ ذو السلوك العنيف بالمقارنة بالقادرين. وعلي الرغـــم مـــن أهمية ما أشار إليه الباحثان **Segol & Abbie** إلا أنه ينبغي الإشارة إلي أن هذه المحددات قد تكون موجودة لدي كافة الطـــلاب، داخـــل الصف الواحد، الأمر الذي يفسر رد الفعل العنيف من بعض الطلاب

بوصفه راجعاً إلي بنائهم النفسي والانفعالي، أكثر منه إلي طبيعـــة المحددات الخارجية داخل الصف، وإلا لماذا لم يتعامل بقية الطـلاب بنفس منطق السلوك العنيف لدي هؤلاء الطلاب .. إنـــها مـــبررات أكثر منها أسباباً حقيقية، ولعل ذلك مادفع بالباحث.Howard 1995 عام ١٩٩٥ إلي طرح تصوراته بخصوص استراتيجيات المواجهـــة لدي هؤلاء الطلاب في مقال بعنوان:

Techniques for avoiding counteragressive Responses When Teaching youth with aggressive, Behavior.

وتتمثل تلك التصـــورات فـــي كيفيـــة إدارة دوره الصـــراع **Conflict Cycle** وضبط النفـــس **mangement – Self** وكيفيـــة مواجهة ظروف الحياة **events – life** وكيفية التحكـــم وإســـتبدال مشاعر الغضب **replacement. T – Anger** وطـــرق وأســـاليب إقامة العلاقات **(Relationship Technology (Howard: 1995**

إن التصورات التي طرحـــها Howard فـــي مقالـــه تشـــير بوضوح إلي أهمية تصميم وإعداد البرامج التدريبية للطلاب الذيـــن يتسم سلوكهم المدرسي بالعدائية، فلا يقف الأمر عند حد إخضاعـــهم للدراسات الوصفية من قبيل معرفة خصائصهم وقدراتهم ومهاراتـــهم وتصوراتهم وطبيعة سلوكياتهم فقط، وإنما ينبغي أن يعقـــب ذلـــك وجود كوادر من الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين في إطار بيئـــة المدرسة، قادرين علي القيام بواجباتهم الإجرائية من قبيل التدريـــب والتعديل والتغير لمثل هذه الخصائص والأبعاد، ولايقف الأمر عنـــد

هذا الحد بل يطالب البعض أن يكـــون المعلـــم فضـــلاً عـــن دوره الأكاديمي، مؤهلاً لعقد وتصميم مثل تلك البرامج.

وفي هذا الصدد يشير الباحث Frank. H 1995 في تعليقـه علي داسه قام بها ترتبط بالسلوك العدائي من الطالب تجـــاه معلمـــه تحت عنوان:

Positive responses to student Resistance to programs of behavior change

إلي ضرورة التطرق لتصورات الطالب العنيف، حول أســباب مقاومته لتغيير سلوكه، طبقاً لما يقوله الطالب للمدرس عن مـبررات وأسباب مايفعله فمن الخطأ الاقتصار فقط علي تسجيل انطباعاتنـــا وتفسيراتنا لسلوك التلميذ العنيف، دون الاستماع إلي تفسيراته الذاتية ومبرراته الشخصية التي دفعته لـــهذا الســـلوك العنيـــف أو ذاك .. فالإدراك الذاتي لدافع العنف، قد يفسح الطريق للتعرف علي بنـــاء التلميذ النفسي وصورة ذاته وتصوره لشـــكل وطبيعـــة العلاقـــات التفاعلية مع الآخرين الذين يقعون في دائرة اعتدائه (الضحايا) مـــع التركيز إجرائياً علي كيفية تجنب الإثارة وردود الفعل التـــي تتســم بالقسوة مع توفر الـــردود البديلـــة .. (Frank: 1995) فالســـلوك العنيف قد يكون في بعض الأحيان نتيجة لاســـتجابة المعلـــم تجـــاه الطالب ، من حيث نهره أو عدم مراعاة مشاعره وجرح نرجســـيته أمام الآخرين، الأمر الذي يتطلب أثناء دراســـة الســـلوك الدوانـــي للطالب ضرورة رصد هذا المتغير الخاص بطبيعة تعاملات المعلـــم

مع الطالب ولايتوقف الأمر عند هذا الحد بـــل أن المعلـــم مطـــالب بتوضيح القيمة الإيجابية أو السلبية لسلوك العنـــف الصـــادر مـــن التلميذ، فبعض السلوكيات الصادرة من التلاميذ أثناء لعبهم وتفاعلـهم قد تبدو عنيفة، مع أنها علي عكس ذلك "لعب" **Playing** وفي هـــذا الصدد تعرضت الباحثتان **Janet & Nancy1988** في مقال لـــهما بعنوان:

The positive Aspects of Aggressive Behavior in young children

إلي أنه من الخطورة اعتبار كل سلوك عدواني مـــن جـــانب الطفل سلوكاً سيئاً . فقد يكون الأمر راجعاً إلـــي بعـــض الألعـــاب القاسية **Fighting – Play** ، والشقلبه والمطاردات، الأمـــز الـــذي يجعل المعلمين في غايـــة الحذر أثناء وصم السلوك بالعدائيـــة أم غير ذلك.

فهناك فرق كبير بين اللعب والعراك الحقيقي بيـــن الأطفـــال **Play and serious Fighting** فاللعب العنيف قد يكـــون وســـيلة ناجحة في جعل الطفل يعبر عن رغباته وحاجاته، وينبغي حينئذ وفقاً لدعوة الباحثتان أن يهتم المعلم بما يريد الأطفال التعبير عنه، بـــدلاً من الحكم القيمى علي سلوكهم ، وبعض التلاميذ قد يلجـــأون إلـــي السلوك العنيف والعراك أثناء اللعب لكسب الأصدقاء، أو تعبيراً عن إحباطهم في كسب أصدقاء جدد، أو تأكيداً لذواتهم، وتجنباً للخـــوف من الآخرين، فمن الضروري أن يقوم المعلمين بتشـــجيع الأطفـــال

علي التعامل مع العدوانية بتأكيد مشاعرهم ببعض العبارات . مثـــل "توقف" "لا أحب ذلك" بدلاً من الرد بـــالضرب أو الذهـــاب للمعلـــم I'don't like that فعن طريـــق تشـــجيع الطفـــل علـــي تحمـــل المسئولية، يمكن في المقابل المساهمة في بناء قيم إيجابية للذات .

ومن الدراسات التي تشـــير إي أهميـــة التوجيـــه والإرشـــاد المستمر من قبل المعلمين في كبح جماع السلوك لدي التلاميذ ما قام به الباحث Alison1995 في دراسة تحت بعنوان :

Increasing the Effectiveness of de – Escalation of Aggressive Behaviors in the young child

حيث قام البـــاحث بتصميـــم برنـــامج خدمـــــــــــــي Service , training Program لكيفية التخفيـــف والإقـــلال مـــن السلوك العدواني المرتبط بالاستخدام المفرط للقوة البدنيـــه، حضـــر البرنامج مجموعة من المعلمين كملاحظين، ومشاركين في بعـــض الأحيان، ومجموعة من الطلاب ذوي الســـلوك العنيـــف، اشـــتمل البرنامج علي مجموعة محاضرات تضمنت الاشارة إلـــي معنـــي السلوك العنيف وتصنيفاته، والأسباب المؤدية إليه ، والآثار الســـلبية المترتبة عليه سواء للفرد العنيف أو الضحايـــا الآخريـــن، ولعـــب الأدوار، حيث يتم استخدام أسلوب السيكو دراما في تجسيد موقـــف العنف وردود الفعل المترتبة عليه، مع ترك الحرية للتلاميـــذ فـــي معايشة الأدوار ورصد الانفعالات، ثم التعليق والمناقشة، والخـــروج بالتوصيات والتوجيهات الوقائية ومواقف مصورة بالفيديو ومناقشات

جماعية .. وأشارت نتائج البرنامج بعد متابعة المعلمين والمتدربيـــن فيما لعد ، إلي وجود مؤشرات إيجابية من حيث نجاح المعلمين فـــي التعامل مع الحالات المضطربة سلوكياً من الطـــلاب، وفـــي نفـــس الوقت انخفاض معدلات العنف لدي المتدربين من الطلاب

(Alison. M. 1995)

أما عن أسباب السلوك العنيف داخل الفصول فقـــد تعـــددت أسبابه منها الشللية وديناميات الجماعات الفرعية داخـــل الصـــف، ومنها سوء إدارة الصف من المعلمين الذين يتســـم تعاملـــهم مـــع الطلاب بالغلظة والسخرية والإقلال من شأنهم ومنها بعض العوامل المتصلة بالفروق الثقافية والاجتماعية مـــن قبيـــل الفـــروق فـــي المستويات الاجتماعية والاقتصادية والدينيـــةُ والعرقيـــة والقوميـــة والمتغير الأخير كان موضوع دراسة قـــام بـــها كـــــــل مـــن **Tauili& Jorge 1995** تحت عنوان :

Assessment and Pervention of aggressive behavior amang youths of color: integrating cultural and social factor.

وقد أشار الباحثان من خلال تلك الدراسة إلي أن الفشـــل فـــي التغلب علي الفروق الاجتماعية والثقافية بيـــن الطـــلاب الملونيـــن والبيض، وكذلك الفروق العرفية والجنسية أدي إلـــي زيـــادة حـــدة العنف، وبدا ذلك واضحاً في قيام الطلاب البيض بالســـخرية مـــن الملونين، مما أدي إلي حدوث الصدام والاحتدام المعنوي ومن ثـــم

التفعيل العنيف السلوكي الأمر الذي دفعـهما إلـي ضـرورة قيـام الأخصائيين الاجتماعيين في المدارس بضرورة عم جلسات جماعية تضم الفئات المختلفة من الطلاب ومناقشـة موضوعاتـهم بفـرض تخفيف حدة العدائية التي تنعكس في صورة تفعيل سلوكي عدائي.

علي أن يتم الإفادة من تكنيكات العلاج الجمعي .G.Th فـي هذا المجال وفي دراسة حديثة قام بها Mills 1996 وآخـرون تـم إخضاع مجموعة من التلاميذ ذو السلوك العنيف للتجريـب والـذي تكررت سلوكياتهم العدوانية مع الآخرين، من قبيل التشاجر وإثـارة الشغب والتمرد وعدم الامتثال للأوامر والنواهي وتحطيم وتكسـير أثاث المدرسة، وكثرة التغيب دون مبرر واضح، وقد بلـغ عددهـم خمسة عشر تلميذاً، وتم اختيارهم بناءً علـي التقـارير السـلوكية المتضمنة في مكتب الاخصائيين النفسيين حيث تم إختيـارهم وفقـاً لأكبر عدد ممكن من التحويلات السلوكية كل ذلك بغرض اختبـار فرضية مؤداها أن ضيق المكان والإزدحام من شأنه أن يزيـد مـن حدة السلوك العنيف، علي حين أن عدم الإزدحام واتسـاع المكـان سوف يقللان من حدة هذا السلوك .. وتم وضع هؤلاء التلاميذ فـي احد الفصول ذات الكثافة الفراغيه الضيقه، حيث تزدحم القاعه بعـدد كبير من التلاميذ يفوق طاقه الغرفه عن إستيعابهم العددي، وتم كذلك التدريس لهم بطرق تقليدية "قيام المعلم بإرسال المعلومات مع عـدم السماح بالمناقشات أو الاستفسارات" ، واستمر هذا الوضـع لمـدة أربعة أسابيع.

ثم قام الباحثون في الفصل الدراسي الثـــاني بوضـــع نفـــس المجموعة من التلاميذ في أحد الفصول ذات الكثافة الفراغية الواسعة ، مع عدم إزدحام المكان، علاوة علي أن المحاضرات كانت تعتمـــد علي المناقشات المفتوحة، وإثارة الإبداع، وتبـــادل الآراء، وكافـــة التفاعلات الإنسانية الإيجابية، ثم قام **Mills** وزملاؤه بعملية حصـــر لاعداد الحالات السلوكية التي تم تحويلها لمكتـــب المدرســـــة **office – School** خلال فترتي الدراسة.

وقد أشارت التحليلات إلي وجود ثمة إنخفاض ملحوظ فـــي عدد التحويلات السلوكية المخالفة، عندما تم نقل التلاميذ إلي الأماكن المتسعة والمحاضرات غير التقليدية **(Mills et al: 1996)** وعلـــي الرغم من إيجابية نتائج ميلز **Mills** وزملاؤه من حيـــث أن اتســـاع المكان وعدم ازدحامه أديا إلي الإقلال من حدة السلوكيات العنيفـــة، لدي التلاميذ، إلا أنه توجد عدة اعتبارات تتعلق بالإطار المنـــهجي للدراسة ، يتصدرها أن الانخفاض في عدد التحويـــلات الســـلوكية لانستطيع أن نرجعه إلي ذلك التأثير المباشر لهذا العـــامل المســـتقل وحدة، وذلك لأن التصميم التجريبي لم يراع عملية الضبط الدقيـــق للمتغيرات الوسيطة، مثل الحرارة والتهوية والإضـــاءة وتجـــهيزات الأثاث وطبيعة، تفاعلات المعلمين مع الطلاب والمادة المتعلمة مـــن حيث أساليب تدريسها وأوقات التدريس من حيث الآثار المرتبطـــة بالأوقات، ومدي الارهاق والتوتر الذي قد يصيـــب الطـــالب فـــي الحصص الأخيرة من اليوم الدراسي والعلاقة مع الزمـــلاء مـــن

حيث كونها قائمة علي العدائية أم التنافسية أم التسامح والدفء فكل هذه العوامل أو بعضها قد يؤثر بشكل دال علي العامل التابع والمتمثل في السلوك العنيف للتلميذ، كذلك لم توضح الدراسة التي قام بها **Mills** طبيعة السلوكيات العنيفة التي صدرت من هؤلاء التلاميذ الذين تم إخضاعهم للدارسة، فمن المؤكد أن التلميذ ذو السلوك العنيف تتراوح شدة مايصدر منه من سلوك عنيف بداية من التمرد وعدم الامتثال للأوامر والنواهي، ومروراً بإيذاء الآخرين لفظياً ومعنوياً ، ونهاية بإيذائهم البدني والجسمي، وعلي ذلك فإن وضع كل التلاميذ ذو السلوك العنيف بغض النظر عن درجة ذلك السلوك في فئة واحدة، يعد قصوراً منهجياً في الدراسة.

ثم يأتي أخيراً أن دراسة **Mills** في اعتمادها علي عدد الحالات السلوكية التي تم تحويلها لمكتب المدرسة لايمكن الاعتماد علي هذا المحك منهجياً، لأن هناك العديد من المشكلات السلوكية يتم التعامل معها موقفياً دون أن تتاح فرصة تحويلها إلي الجهات المختصة، مثل التحرش الجسمي بين الزملاء تحت شعار اللعب مثلاً، أو الألفاظ الرمزية التي تحمل طابع العنف والتي لايمكن التعامل معها بمنطق الادانه أو التجريم، ومع ذلك تحمل سمه العدائية .

واستكمالاً لتلك النوعية من الدراسات التي تضع العوامل الخارجية المحيطة بالتلميذ ذو السلوك العنيف محل الدراسة والاهتمام قام الباحث **Nelson1996** وآخرون بدراسة تحليلية لعدد

من التلاميذ ذوي السلوك العنيف، تم اختيارهم من خلال ســـجلات التحويل المدرسي الخاص بالمخالفات السلوكية، وتم اختيار أربعـــة تلاميذ فقط من الصف الثالث، بناءً علـــي الربيـــع الأعلـــى لعـــدد التحويلات "أكثر التلاميذ خطورة" وانطلقت الدراسة من فكرة مؤداها أن إثارة النقاش والحوار مع التلميذ العنيف، وتبادل التفاعل الإيجابي معه، وإثارة ملكاته الإبداعية، وفتح قنوات الاتصال الإنساني معـــه، سوف يقلل تباعاً من حدة سلوكياته العنيفة، انطلاقا من فكرة تدعيـــم الثقة بالذات ومن ثم بالآخرين، وقام الباحثون بوضع التلاميذ الأربعة في أحد الفصول الواسعة ومعهم عدد قليل من التلاميـــذ، علـــي أن يتولي المعلم التدريس بطريقه يغلب عليها الأجواء المريحة "التسامح / الود/ الابتسام/ التيسير) بالإضافة إلي تبني طرقاً للتدريس تخاطب قدراتهم الابداعيه، وعن طريق جمع الملاحظات التي تم تســـجيلها لهؤلاء التلاميذ الأربعة سواء داخل الصف أو خارجه عن طزيـــق الاستعانة بالإخباريين.

وجدت الدراسة أن هناك ثمة انخفاضاً ملحوظاً في سلوكياتهم العنيفة في ظل الوضع التجريبي غير التقليدي في المكان (الاتســـاع) والأسلوب "التعامل" (Welson et al 1996) .

أن مايؤخذ علي دراسة Nelson تتبلور في ضرورة التـــأكيد علي أهمية التخلي عن الأساليب التقليدية فـــي التدريـــس (إرســـال المعلومات فقط عدم الاهتمام بالخصائص والفروق بين التلاميذ) فمن

شأن ذلك أن يفجر في التلاميذ الرغبة في التمرد، ومن ثم التـــورط في السلوك العنيف.

إذا كانت دراسه **Mills** وضعت متغير الازدحام وضيق المكان كأحد محددات السلوك العنيف داخل بيئة الصف، وإذا كـــان **Nelson** ركز علي الأسلوب الذي تدار به المحاضرة "تقليدي / غير تقليـــدي) كأحد محددات السلوك العنيف أيضاً، فـــإن الباحثـــان Van Acher &Richard حاولا التأكد من عامل آخر وهو طبيعة المجـــال الـــذي يحدث فيه السلوك العنيف (وفقاً لنظرية المجال لكـــيرت ليفيـــن) .. ويري الباحثان أن السلوك العنيف للتلميذ لايمكن تفسيره أو الوقـوف علي مدلوله إلا من خلال الطبيعة النوعية للمجال الذي حـــدث فيـــه السلوك، ويضرب الباحثان مثالاً توضيحياً في هذا الصـــدد، بـــأحد التلاميذ قام بالاعتداء علي آخر ، فما كان من هذا الأخر بأن قام برد العدوان بطريقة مماثله .. هل يمكن اعتبار سلوك الأخـــير سـلوكاً عنيفاً لمجرد الاعتماد علي الملاحظة فقط للتفعيل السلوكي الصـــادر منه ؟ يجيب الباحثان بالنفي، ومن ثم ضرورة قيام الباحث بتصنيف السلوك العنيف وفقاً لنوعيته، وحدته، واتجاهه "مثـــيراً / اســـتجابه) فالسلوك العنيف الموقفي عادة ما نقابله أثناء تدافع التلاميذ وتزاحمهم ، أو اثناء تحرشاتهم البدنية أثناء الالعاب الجماعية، أو أثناء تواجدهم في اللقاءات الجماعية"تشجيع الفرق الرياضية والمباريـــات الثقافيـــة والعلمية " .

ويري الباحثان أن السلوك العنيف الموقفي لايمكن اعتباره دليلاً علي تأصل العنف داخل التلميذ، بقدر كونه تفعيلاً موقفياً سرعان ما يزول بزوال الموقف المسبب له . إلا إذا تكررت تلك الســـلوكيات بشكل دال وملحوظ.

وينتقل الباحثان كذلك إلي سلوك آخر عنيـف أطلقـوا عليـه "عنف العلاقات" وهذا النوع أشد درجة من النوع الموقفي الســابق، لأنه يحمل نوعاً من التخطيط والتدبير المقصود للعنف، مـن قبيـل عمل الدسائس والمؤامرات بغرض إيقاع الأذى بالآخرين وتوريطهم في بعض المشكلات التي تسبب لهم الضيق والتوتر، أمـا الأنـواع الأخرى من العنف مثل التحطيم والتكسير والألفاظ الجارحة والإيذاء البدني والقتل فهذه حالات مرضية ينبغي تحويلـها إلـي الجـهات المختصة بعمليه العلاج النفسي.

وبعد انتهاء الباحثان مـن عرضـهما المتضمـن تصنيـف السلوكيات العنيفه، قاما بدراسة تجريبيه علي النوع الثاني من العنف "عنف العلاقات **Relationship . Violance**، حيـث تـم إخضـاع مجموعة تجريبيه من التلاميذ المتورطين فـي عنـف العلاقـات، فوجدت الدراسة أن هذه المجموعة من التلاميذ يمكـن أن يصبـح بمثابه نموذجاً يحاكيه ويقلده الآخرين من التلاميذ، خاصة في مرحلة المراهقة حيث يسعي المراهق لتأكيد ذاتـه وقوتـها فـي مواجهـة الاقران، الذين يريدون كسر إرادته وإضعاف قوته وإذلاله.

وأشارت الدراسة إلي أن المواجهة الفعلية للســـلوك العنيـــف ترتبط بمدي قدرتنا علي تحديد نوعيه السلوك (عنف موقفي، عنـــف العلاقات، العنف الضاري ، عنف الأمراض النفسية) .. فكل نـــوع من هذه الأنواع في حاجة إلي تكنيكات إرشـــادية وتدريبيـــة تتفـــق وطبيعته النوعية.

وفي دراسة أخري قام بها البـــاحث Jones1995 وزمـــلاؤه ، حاولوا التعرف من خلالها علي الآثار السلبية للسلوك العنيف علـــي مجموعة من التلاميذ أطلق عليهم "التلاميـــذ الصامتـــــــــون Student – Silent وهؤلاء التلاميذ دائماً مايميلون إلي الصمـــت، ولايتكلمون مع غيرهم، إلا في أضيق الحدود، ولايحاولون تعميـــق الاتصال مع غيرهم، وبعد دراسة متعمقة لهذه الحالات، مع إستبعاد حالات الصمت الراجعة إلي الاضطراب النفسي (الاكتئاب/الانطواء/ العزلة المرضية) تبقي أمام الباحثين مجموعة من التلاميذ الصامتين، وبدراسة حالاتهم أتضح أنهم لايتحدثون خوفاً من بطـــش زملائـــهم ذوي السلوك العنيف بهم ، وإيقاع الأذى عليهم.

من هذا المنطلق فالسلوك الصامت الذي يلـــوذ بـــه هـــؤلاء التلاميذ ماهو إلا محاولة للتغلب علي المخـــاطر التـــي يمكـــن أن تواجههم (Jones et al :1995) يتضح من خلال دراســـة Jones أن السلوك العنيف للتلميذ لاتقتصر آثاره السلبية فقط علي مجرد تدنـــي المستوي الأكاديمي له كما أشارت بذلك دراسة Segal &Abbi وإنما

يؤدي كذلك إلي التأثير علي الأقران المحيطين بـــه، عـــن طريـــق لجوهم للصمت حتي لايتعرضون للعقاب..

واستكمالا لتلك النوعية من البحـــوث قـــام البـــاحث **Dunlap1994** بدراسة تحليلة متعمقة **Intensive Study** لتلميذين من المرحلـــة الإعدادية يعانيان من اضطرابات سلوكية ومدرسية واضحة، حيـــث قام الباحث بتصميم برنامج يتضمن تنمية حرية الاختيار والمفاضلـــة بدلاً من الأساليب الجامدة القائمة علي الإجبـــار وتلقـــي الأوامـــر، والانصياع لها دون مناقشة، وخرجت الدراسة بعد انتهاء البرنـــامج ببعض المؤشرات بالإيجابية وإن كانت مظاهرها قليلة نسياً .

. **(Dunlap et al : 1994)**

إن مؤشرات الدراسة السابقة تشير بوضوح إلـــي أن الســـلوك العنيف للتلميذ قد يرجع في أحد المستويات إلي ذلك النظام التقليـــدي للتدريس، القائم علي فرض الآراء والأفكار من منطق التسلط وعـدم إتاحة الفرصة أمام التلاميذ للإعراب بتلقائية عما يريدونه، مما قـــد الذي يدفع بالتلميذ إلي السلوك العنيف كرد فعل مضاد لهذا التكنيـــك المتسلط من التعاملات معه، ولعل ذلك ما أكدته دراسة أخري قـــام بها **Taylor1994** وآخرون حيث تم اختيار خمسه عشر تلميذاً اتسم ســـلوكهم بـــالعنف، تـــم تحديدهـــم مـــن خـــلال الملاحظـــات الميدانية **F.Observation** داخل الصف وخارجه، وكذلـــك اعتمـــادا علي عدد التحويلات الســـلوكية لمكـــاتب الأخصـــائيين النفســـيين

بالمدرسة، تراوحت أعمارهم بمتوسط ١٢ عام، وتم تصنيفهم إلـــي مجموعتين تجريبيتين (ثماني منهم في وضع تجريبـــي إيجـابي – سبعه منهم في وضع عادي) أما عن الوضع التجريبي الإيجابي فقـد تم وضعهم في أحد الفصول التي تولي إدارتها أحد المعلمين الذيـــن خضعوا بدورهم لبرنامج يهدف إلي تنمية حرية الاختيـــار وطـــرح البدائل لعام التلاميذ وفتح قنوات الحـــوار والمناقشـــات ، وتقديـــر آراؤهم، والاعتماد علي أساليب الاتصال الإقناعي، أما المجموعـــة الثانية وهم أساساً من ذوي السلوك العنيف أيضاً ، فقد تـــم بقـــاؤهم داخل فصولهم دون أدني تعديل أو تغيير علي أســـاليب التدريـــس التقليدية، وبعد فترة بلغت سته أسابيع قام الباحثون بقياس الســـلوك العنيف لدي المجموعتين من التلاميذ، فوجـــدت الدراســـــــة فروقاً داله إحصائياً بينهما لصالح المجموعة الأولي التجريبية.

. **(Taylor et al 1994)**

واستكمالاً للدور الجوهري للقائمين علي أمر التعليم والتنشـــئة داخل المدارس سواء كانوا معلمين أو أخصائيين في تخفيـــف حـــدة السلوك العنيف للتلاميذ كتب كل من Watson &Stewart 1994 مقالاً في مجلة التربية المعاصرة ثم اتبعهم **Bischof 1994** أوضحـوا في هذه المقالات أنه إذا أراد المعلم أن يكون ذو تأثير إيجابي وفعال في مواجهة السلوك العنيف، فعليه حينئذ الاعتمـــاد علـــي الـــبرامج

الإرشادية والتوجيهية، وفي بعض الأحيان العلاجيـــة إذا اســـتدعت الضرورة مواجهة بعض الأغراض السلوكية شديدة الاضطراب.

. (Watson & Stewart : 1994) (Bischof: 1994)

وكذلك يري الباحث Lewis 1985 ضرورة تدخل المعلمين في تعديل سلوك التلاميذ الذي يتسم بالعنف عن طريق تدريبيهم علـــي مراقبة الذات، ووضع الأهداف الواقعية ، لهم والتعرف علي قدراتهم واستعداداتهم من خلال برامج الوعي والاستبصار الذاتي.

وعلي الرغم من أهمية مثل هذا الاتجاه الرامي إلي ضـــرورة التعامل الإرشادي والتوجيهي بل والعلاجي للمعلم نحو التلاميـــذ ذو السلوك العنيف، إلا أن هذه الفكـــرة ســـرعان مـــاتفقد مضمونـــها الإجرائي في ظل تكدس التلاميذ وزيادة عددهم بشكل كبير وفي ظل تدني المستوي الأكاديمي للمعلميين وضعف الدورات التدريبية التـــي يتعرضون لها. الأمر الذي يحول دون إمكانية قيام المعلم بذلـــك ، واقتصار دوره علي مجرد تسجيل بيانات التلاميذ وأخذ التعـــهدات اللفظية عليهم بعدم معاودة السلوك العنيف مرة أخري.

وهناك نوعيه أخري من الدراسات انصبت علي التعمـــق فـــي شخصية التلاميذ ذو الســـلوك العنيـــف ففـــي دراســـة قـــام بـــها Herry1991 وآخرون ، حاولوا خلالها التعرف علي مفهوم الـــذات Self. Concept لدي هؤلاء التلاميذ، حيث قـــاموا باختيـــار عينـــة عشوائية كبيرة من التلاميذ قوامها ثلثمائة وسبعه وستون تلميذاً مـــن

الصف السادس، وتم تطبيق اختبارا لقياس مفهوم الذات لديهم، وبعد المعالجات تم تحديد الربيع الأعلى "أكثر التلاميذ إحساســـا بـــالذات الإيجابية والواقعية) والربيع الأدني " أقل التلاميذ إحساســـاً بـــالذات الإيجابية والواقعية) ، ثم أعقب ذلك القيام بدراســـة تحليليـــة لكـــلا المجموعتين .

حيث أشارت النتائج إلي أن المجموعة ذات المفهوم الســـلبي في رؤيتها لذاتها كانت أكثر ميلاً للاضطراب السلوكي والتورط في السلوك العنيف (Herrey et al : ١٩٩١)

وإذا كانت دراسة Herry Kevin &Larry أكدتا علي مفـــهوم الذات السلبية لدي التلميذ ذو السلوك العنيف، فإن دراسات آخـــري مثل **Jone & Wesley 1983** قاما من خلال دراسه لهما بالتـــأكد من فرضيه أن السلوك العنيف في بيئة الصف المدرسي مـــاهو الا انعكاس لإحباطات وضغوط واجهت التلميذ خارج حدود المدرســـة، ومن ثم حددت الازاحة والتنقل لها .. وقد أشارت الدراسة بـــالفعل إلي وجود علاقة بين تعرض الفرد للإحباطات والضغوط الاجتماعية والأسرية الشديدة وبين السلوك العنيف داخل المدرسة فالتلميذ الـــذي يتعرض بصفة مستمرة لأساليب المعاملة الوالدية التي تتسم بالإهمال واللامبالاه والنقد والتذبذب وعدم الاتساق والاحباطات المستمرة، قـــد يميل كنوع من رد الفعل المقابل إلي إزاحة عدوانـــــه بعيـــداً عـــن مصادرها الأصلية ومن ثم تفعيل السلوك العنيـــف علـــي الأشـــياء والأشخاص الآخرين (**Jone &Wesley 1983**).

وباستعراض البحوث والدراسات العديدة في هذا المجـــال تـــم الوقوف علي مجموعة كبيرة من الدراسات، تري أن تدريب التلميـذ ذو السلوك العنيف وتشجيعه علي ممارسة الرياضات العنيفـــة، قـــد يؤدي به إلي انخفاض معدلات سلوكه العنيف مع أقرانه، وتنطلـــق هذه النوعية من الدراسات التجريبية من فكرة التســـامي والتعـــالي بالغريزة العدوانية إلي أشكال سلوكية مقبولـــة اجتماعيـــاً، وســـيتم الاقتصار في هذا الصدد علي دراسة واحدة كنموذج لتلك الدراسات، حيث قام كل منه **Berry & Judith1991** بدراسة تجريبية للتأكد من مدي فعالية التدريبات الرياضية العنيفة (الكراتيه) علي الســـلوك العنيف لبعض التلاميذ الذين سبق تشخيص سلوكهم بـــالعنف، مـــن خلال الملاحظات وعدد المخالفات السلوكية ، حيـــث بلـــغ عددهـــم أربعون تلميذاً، تم تقسيمهم إلي مجموعتين أحدهما تجريبية والأخرى ضابطة، وخضعت المجموعة الأولـــي لبرنـــامج تدريبـــي مكثـــف للكراتيه، دون أن تتعرض المجموعة الثانية الضابطة لهذا البرنامج.

وقد أظهرت الدراسة فروق دالة إحصائيـــاً فـــي الانضبـــاط الصفي وارتفاع مفهوم الذات الايجابية لدي المجموعة الأولي .

.(Berry & Judith : 1991)

إن المؤشرات البحثية السابقة علي الرغم مـــن بســـاطتها بـــل وتوقع مؤشراتها أنما تدل في أحد المستويات إلي قضية غايـــة فـــي الخطورة والأهمية، سواء علي المستوي التربوي المدرسي أو علـــي

المستوي المجتمعي بعامه، فمن الملاحظ عـــدم اهتمـــام المـــدارس بالتدريبات الرياضية (البدنية) واعتبار برامجـــها مجـــرد جوانـــب ترفيهيه إضافية، الأمر الذي ترتب عليه عدم وجود المتنفس الـــذي يمكن من خلاله التعبير عن النزعات العدوانيـــة بالشـــكل المقبـــول اجتماعياً ومن ثم ظهوره بشكل سلوك عنيف ســـلبي (شـــجار بيـــن الأقران، تحرشات بدنية ، تخريب، تدمير، عنف العلاقات ..).

بل أن البعض في طرحه لعنف الشباب واتجاهه العدائي نحـــو كافة رموز السلطة يفسر ذلك ويعزوه إلي انعدام البرامج الرياضيـــة الهادفة بكل ما تتضمنه من قصور (تخطيطا وتنفيذاً وإشرافا" .

أما عن انخفاض الدافع للنجاح والتقـــدم الأكـــاديمي وعلاقتـــه بالسلوك العنيف للتلميذ، فقد قامت الباحثة Parbara1991 وآخـــرون بإجراء دراسة بعنوان :

The academic Motivations of students who are Discipline problems

حاولت من خلالها تطبيق استبيان لقياس الدوافع الأكاديمية علي مجموعة كبيرة من طلاب مجموعة من المـــدارس مـــن الصفـــوف التاسع حتى الثاني عشر، وكذلك اختبارات لمفهوم الذات، والاتجـــاه نحو المعلمين .

وقد أشارت نتائج الدراسة بعـــد التحليـــلات الإحصائيـــة، أن الطلاب الأكثر انخفاضاً في دوافعهم الأكاديمية، كانوا أكثر الطـــلاب

ارتفاعاً علي درجات استمارة الملاحظات السلوكية .. وفـــي نفـس الوقت الأقل إحساسا بذواتهم الإيجابية والأكثر نفوراً من المعلمين.

(Parbara; 1991)

أما عن التعرض لمشاهدة العنف ومن ثم اللجوء إلـــي تفعيلـه ومحاكاته، فقد أجريت دراسات عديدة، نعرض منها لدراسة قام بـــها الباحثان **Cooper& Danny1981** .

تحت عنوان :

The impact of televised Aggression on children: .Adevelopoment field study

وانطلقت الدراسة من فكرة مؤداهـــا أن مشـــاهدة الأطفـــال الأمريكيين لأفلام ومشاهد العنف من خلال T.V تجعلهم أكثر عنفـاً وتقليداً لهذه المشاهد، وتم إجراء الدراسة علي مائه وتســـعه عشـــر تلميذاً من أطفال المرحلة الإبتدائيه (السنه الثانية – السنة الخامســـة) .. وقد أشارت نتائج الدراسة أن الأطفال الأكثر تعرضاً وتقليداً لمـــا يشاهدونه في التلفاز هم أكثر ميلاً لارتكاب المخالفـــات الســـلوكية والعكس يبدو صحيحاً في نفس السياق **(Cooper & Danny : 1981)**

وفي دراسة أخري قام بها **Lewis &Marlyn** تحت عنوان:

Television Viewing habits of kindergarten, third and six Grad students in a western kentucky county

تم من خلال هذه الدراسة استبار "عمل مسح" لعدد كبير مـــن الآباء، في المناطق المدنية والريفية في ولاية كـــالواي (كنتـــاكي)

بهدف التعرف علي عادات الأطفال في مشاهدة T.V وتـــم طـــرح العديد من الأسئلة حول وجود جهاز T.V في المنزل، وهل للطفـــل جهاز T.V خاص به، وهل العائله تشاهد T.V أثناء تناولها للطعـــام، وهل صوت T.V يكون مرتفعاً بحيث يعوق التواصل اللفظي، وهـــل الاعلانات التليفزيونية تؤثر علي طلب الأطفـــال للشـــراء، وهـــل مشاهدة العنف في T.V تؤثر علي السلوك العدواني للطفـــل، وبعـــد تحليل النتائج أتضح أن هناك علاقة ارتباطية بين مشـــاهدة العنـــف التلفزيوني والسلوك العنيف لدي الطفل .

(Lewis & Marilyn: 1981)

من خلال عرض ذلك الكم الموجز من الدراسات عن الســـلوك العنيف للتلميذ داخل البيئة المدرسية يمكن الخروج ببعض المؤشرات النظرية والإجرائية:

أ – أشارت الدراسات إلي أن التدخل المبكر في اكتشـــاف مظـــاهر السلوك العنيف لدي التلميذ ومن ثم مواجهته بـــالبرامج الإرشـــادية والسلوكية، قد يقلل تباعاً من كم وكيف السلوك العنيـــف مـــع كـــل مايترتب عليه من تداعيات سلبية ، سواء للتلميذ ذو السلوك العنيف، أو الآخرين الذين يتفاعل معهم ، أو المحددات البيئية التي يتواجـــد خلالها .. ولاشك أن القيام بهذه الخطوة "الاكتشاف المبكر" يتطلـــب نوعاً من الكوادر المؤهلة سواء مـــن المعلميـــن، أو الأخصـــائيين المعنيين بالتعامل مع التلاميذ، قادرين علي الملاحظة العلمية الدقيقه،

ولديهم الأطر النظرية التي تمكنهم من تصنيف السلوكيات العنيفـــة، وكيفية مواجهة كل منها وفقاً لنوعيته ودرجته.

(ج) إذا سلمنا بتعددية مظاهر السلوك العنيف للتلميذ داخل البيئـــة المدرسية كما أشارت إلي ذلك الدارسات العديدة، فإن الأمـــر يستوجب الدقة في عملية الملاحظة والتشـــخيص، فالســـلوك العنيف الذي يرتكبه التلميذ نتيجة تورطه في ظـــل ظـــروف تفاعليه معينه، ولاتتوفر لديه خاصية التكرار أو الاستمرارية، لايمكن وضعه علي قدم المساواه مع السلوك العنيـــف الـــذي يكمن وراؤه تكرارية في الفعل وإســـتمرارية فـــي الســـلوك، وزيادة في الحدة والشدة، فالتفرقة بين انواع السلوك العنيـــف وشدته سيقابلها علي الجانب الآخر تفرقه مماثله في أســـاليب التعامل والمواجهة، واعداد البرامج الإرشادية والتوجيهية.

جـــ – أشارت بعض الدراسات إلي وجود دوافع إيجابية وراء بعض السلوكيات التي تتسم بالعنف، من قبيل الألعاب التـــي يغلـــب عليها جانب التفريغ للطاقات، والمباريات التي ت المنافســـة، الأمر الذي يؤكد ضرورة إعداد الكوادر المؤهلة من المعلمين والأخصائيين لكيفية ملاحظة تلك السلوكيات وعدم إدراجـــها ضمن أنواع السلوك العنيف الأخرى التـــي تتســـم بخاصيـــة الإيذاء البدني والمعنوي.

د – اعتمدت بعض الدراسات في تحديدها للتلاميـــذ ذوي الســـلوك العنيف علي الملاحظات سواء داخل الصف أو خارجه فقـط، علي حين اعتمدت دراسات أخري علـــي عـــدد المخالفـــات السلوكية المدرجة بمكتب الأخصائيين النفسين، علـــي حيـــن اعتمدت دراسات ثالثة علي نتائج الاختبارات الموضوعيـــة، التي تقيس مظاهر العنف، سواء عن طريق تطبيقها بشـــكل مباشر علي هؤلاء التلاميذ، أو قيام الأهل بملء الاختبـــارات وفقا لمدي إدراكهم لسلوكيات ابنهم العنيف.. والحقيقة أن كافة تلك الأساليب تتسم بالإيجابية، إلا أن الاقتصار علي إحداهـــا دون الاستعانة ببقية المحكات الأخري قد يؤثر فـــي النهايـــة علي موضوعية عملية التحديد والاختبارات لهؤلاء التلاميذ.

هـــ – أشارت بعض الدراسات إلي أن سلوك العنف داخـــل بيئـــة المدرسة أو الصف قد يكون بمثابة رد فعل لطـــرق وأســـاليب تعامل المدرسين مع التلاميذ، من حيث عدم إتاحـــة الفرصـــة الكاملة لهم للمناقشة، والتعبير عن أنفســـهم، والتعـــامل معـــهم بوصفهم مصادر ينبغي ملئها بالمعلومات فقـــط، دون مراعـــاه لقدراتهم الإبداعية القائمة علي إعمال العقل "التحليل الاستنتاج، الاستقراء، الاستنباط ، إعادة تركيب الوقائع).

علاوة علي اللجوء لبعض أساليب المعاملة السلبية مـــن قبيـــل الصد واللامبالاه والتعنيف اللفظي والمعنوي، فمن شأن كـــل هـــذه المتغيرات ان تعجل بظهور سلوك العنف لدي التلميذ .. الأمر الذي

يستوجب في المقابل ضرورة إخضاع شريحة المعلميـــن للـــبرامج الإرشادية والتوجيهه التدريبية، إذا أردنا تعاملات إيجابية منهم نحو تلاميذهم.

و – أشارت الدراسات إلي أن ضيق الأماكن وعدم قدرتها علي الاستيعاب العددي للتلاميذ، قد يخلق جواً من التوتر والضيـــق قـــد ينعكس في صورة سلوك عنيف، الأمر الذي يستوجب في المقـــابل الاهتمام باتساع الأماكن، وكل الظروف الفيزيقية، التي من شـــأنها المساعدة في عملية التركيز، مثل الإضـــاءة والتهويـــة والحـــرارة والرطوبة .. الخ.

الفصل الرابـــع

صناعة التفوق الدراسي

الفصل الرابع
(صناعة التفوق الدراسي)

إن المقياس الحقيقي لتقدم الأمم والمجتمعات المتحضرة يتجلـــى في نهضتها العلمية وإنجازاتها التكنولوجية، وتمسكها بجملة المعايير والأطر الإنسانية الإيجابية، وبقدر الاهتمام بالعلم ومحدداتـــه بقـــدر التقدم والارتقاء، والعكس يبدو صحيحاً في هذا الســـياق، والتفـــوق والنبوغ الدراسي يعد أحد الأهداف التي يسعى المجتمع للاهتمام بـــه، لما له من أهمية فردية ومجتمعية علي السواء، والتفـــوق الدراســـي ليس بالشيء الذي يمكن تناوله بشكل جزئي، وإنما تتداخل في صنعه العديد من المتغيرات، بداية من الخصائص المميزة للفرد المتفـــوق، من حيث بنائه النفسي ومهاراته واستعداداته وقدراتـــه وتصوراتـــه ومروراً بالمحددات الدراسية من مناهج ومقررات ووسائل تعليميـــة، ونهاية بالمحددات البشرية المتمثلة في القيام بأعباء العملية التعليميـــة (معلمين/ مدراء/ فلسفة تعليم) .

ولاينبغي النظر إلي صناعة التفوق الدراسي من خلال منظور واحد فقط وترك بقية المنظورات الأخـــرى ، وذلـــك ببســـاطة لأن التفوق الدراسي هو حصيلة كل تلك العوامل مجتمعة معاً ، النـــاتج النهائي عادة ما يكون أكبر من مجموع الأجزاء المكونة له .

فالطالب الذي يحمل بداخله الاستعداد للتفوق من حيث نضـــج قدراته العقلية وطموحاته الذاتية، قد يصطدم بالعراقيل والمعوقـــات

التي تحول بينه وبين تفعيل طاقاته الكامنة لتصبح ظاهرة، والطالب الذي تقل دافعيته للتفوق ويحمل في نفس الوقت الإمكانات والمهارات اللازمة للتفوق قد يصبح متفوقاً في ظل بيئة داعمة .

لكل ما سبق تطرح قضية التفوق والتأخر الدراسي نفسها كأحد القضايا المجتمعية التي تتطلب بالفعل تضافر العديد من الجهات البحثية، والموضوع المطروح في هذا السياق سيتعرض لدور علم النفس في الكشف عن الخصائص والدوافع النفسية المميزة لكل من الطالب المتفوق والمتأخر دراسيا، بغرض وضع هذه الجوانب تحت الضوء والاهتمام ونحن مقبلون علي وضع تصورات إجرائية علمية للنهوض بالعملية التعليمية، علي كافة مستوياتها ومراحلها .

فمن غير المقبول ولا المعقول أن تظل نتائج ومؤشرات البحوث والدراسات العلمية حبيسة الأدراج ولاتتاح لها إمكانية التفعيل والتطبيق ... فإذا أردنا صناعة حقيقية للتفوق الدراسي علينا الاهتمام بمؤشرات التراث البحثي في مجال علم النفس والتربية.

أن تنشئة الأبناء علي الموضوعية والواقعية والبعد عن الخرافات والتفكير اللاعقلاني والتعامل مع محددات الواقع بما فيه، مع الابتعاد عن تضخيم محدداته أو الإقلال من شأنها يعد البداية الحقيقية لهذه الصناعة (التفوق) .. فالابن الذي يتعامل مع الواقع بموضوعية يصبح أكثر قدرة علي قراءة الواقع بأبعاده، ومن ثم

التعامل معه بما فيه وفي ضوء ما يملك من مهارات وقـــدرات، إن هذا الاستبصار يجعل الطالب أكثر قدرة علي التحديد والدقـــة، بـــل والإجرائية معاً.

ويشير في هذا المقام **Holiday 1996** ومعه مجموعـــة مـــن الباحثين إلي أن دراستهم لمجموعتيـــن مـــن الطـــلاب المتفوقيـــن والمتأخرين أشارت إلي أن المتفوقين كانوا أميل إلي الموضوعيـــة والواقعية، الأمر الذي دفع بهم إلي الحصول علي درجات تحصيلية مرتفعة، ويبرر الباحثون هذه النتيجة فـــي أن العلـــم بموضوعاتـــه ومحدداته ماهو إلا انعكاسا حقيقياً لواقع معاش، ومن ثم فإن فهم هذا الواقع بموضوعية وواقعية يجعل ذهن التلميذ أثناء عملية التحصيـــل أشبه بالربط والاستنتاج والاستدلال والاستقراء، مما يتيح له إمكانيـــة مرتفعة من الفهم والوعي، وهو ما لايتوفر عادة لـــدي المتـــأخرين دراسياً، والذين تتسم خصائصـــهم فـــي المقـــابل باللاموضوعيـــة واللاواقعية في التفكير، مما يجعلهم في النهاية غير قـــادرين علـــي الفهم والاستيعاب، وعدم الحصول علي نتائج درجات مرضية .

ويتفق مع تلك النتيجة دراسة أخري قامت بـــها Ellen 1993 وآخرون .. من هنا فإن الاهتمام بالأبناء إبان مراحل تنشئتهم الأولي سواء أسرياً أو تعليمياً لابد أن ينصب في أحد جوانبه علي الإحساس بالمحددات الواقعية والموضوعية، مع الابتعاد عن كل ماهو خرافي، ولاعقلاني ، خاصة أن الدراسات البحثية فـــي مجـــال التخصـــص

أشارت إلي أن التفوق الدراسي الذي يعد أحد دعائمه الموضوعية والعقلانية قد يستمر مع الطالب حتي بعد تخرجه وارتياده سوق العمل والعماله، في شكل تفوق مهني ووظيفي.

ففي أحد الدراسات الطولية التي قام بها الباحثان stariha& Walberg 1995 علي مجموعة من طلاب الجامعة أثناء سنوات دراستهم، ثم تتبعهم عقب تخرجهم من الجامعة وبداية أعمالهم المهنية، أشار الباحثان إلي أن التفوق الدراسي سرعان ما أستمر في صورة تفوق مهني فيما يعد ، الأمر الذي دفعهما إلي القول بأن سمات التفوق من قبيل الموضوعية والعقلانية تعد سمات أصيلة في شخصية المتفوق بغض النظر عن الطبيعة النوعية للمجال الخاص بالتفوق دراسياً/ مهنياً) .

إن نتائج هذه الدراسة تشير في أحد المستويات إلي أن تدريب طلابنا علي الموضوعية والعقلانية، لن تقف أثاره الإيجابية عند حد التفوق الدراسي والحصول علي درجات أكاديمية مرتفعة فقط، وإنما قد تستمر تلك القيمة الإيجابية معه حتي بعد تخرجه واندماجه في المجالات المهنية المختلفة ... وهذه النتيجة تطالبنا أن ندقق الاهتمام في نوعية الموضوعات والمقررات التي يتولي طلابنا دراستها، من حيث مدي إحتوائها علي معايير ومحكات موضوعية وعقلانية ، ترتبط ارتباطا وثيقاً بمحددات الواقع المعاش وأبعاده، فنحن في حاجة إلي شريحة من الطلاب قادرين علي تفعيل

مايتعلمونه من خلال ممارسة فعلية حقيقية وواقعية، وليس من خلال تراكم كمي للمعلومات والمعارف فقط.

من هنا تأتي أهمية المدارس والجامعات ومراكز البحوث في عرض مناهجها ومقرراتها بشكل إجرائي يرتبط بمحددات الواقع وكيفية مواجهته وتطويره، حتي لانقع في النهاية في مأزق الإزدواجية بين القول والفعل ، وشتي ضروب العشوائية والتخبط .. والتفوق الدراسي لايظهر في أجواء الاضطهاد والاستبدادية والتصلب والعقاب المستمر من قبل الكبار في تعاملهم مع الطلاب لأن مثل هذه الخصائص سواء كانت صادرة من الآباء والأمهات أو الإدارات المدرسية أو المعلمين ، لن تخلف ورائها سوي الخوف والتوتر وعدم القدرة علي التركيز، من جانب الطالب مما يؤثر بالسلب علي قدراته ووظائفه العقلية والانفعالية، وافتقاد النظرة الكلية الشمولية لكافة أبعاد الموقف التعليمي، مما يترتب عليه تأخراً ملحوظاً في معدلات الفهم والاستيعاب، وبالتالي التأخر الدراسي.

فإعطاء هامش من الحرية للطالب لكي يعبر عما بداخله من أفكار، وقبول الآخرين لرأيه المغاير، وإبداء الاحترام والتقدير لكل ما يصدر عنه من قول أو فعل حتي لو كان لايتسم بالموضوعية بغرض تعديله وتطويره إلي الأصوب.. كل ذلك قد ينمي في شخصية الطالب القدرة علي الاستقلال والثقة بالنفس وقوة الأنا.

ففي أحد الدراسات التي أجريت علي طلاب الجامعة قام بها الباحثان Wallace & Welberg 1995 بإجراء دراسة مقارنة علي مجموعتين من الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسياً من واقع الدرجات التي حصلوا عليها في الاختيارات الأكاديمية، وبعد إجراء سلسلة من المقابلات المفتوحة معهم ، أتضح أن مجموعة المتفوقين كانت لديهم القدرة علي إدارة الحوار وطرح الأفكار الخاصة وكذلك القدرة علي قبول الآراء المغايرة وتقديرها، فضلاً عن ثقتهم الذاتية بأنفسهم، علي حيث لم تظهر تلك الخصائص لدي المجموعة الأخرى المغايرة من المتخلفين دراسياً.

إن نتائج هذه الدراسة وغيرها الكثير في هذا المضمار تدفعنا إلي ضرورة إعادة النظر في الأساليب المستخدمة في التعامل مع طلابنا.. فالتعليم القائم علي الإرسال فقط دون تلقي رد الفعل من المستقبل، يعد تعليماً ناقصاً ، لأن التغذية الراجعة من المتلقي (الطالب) تلعب دوراً كبيراً في تطوير خصائص المرسل ورسالته في آن واحد (المعلم) .. من هنا ينبغي تطوير آلية وديناميةالعملية التعليمية، بحيث يحرص المعلم علي دفع طلابه لكي يكونوا جزءاً لايتجزأ من الحوار الخاص بالموضوع الدراسي، يستطلع أراؤهم، ويستعرض أفكارهم، ويشاركهم في تحديد الموضوعات، وتحليلها وإعادة تركيبها.

كل هذه الآليات قد تنعكس في النهاية في صورة ثقة بالنفس واعتمادا عليها وقوة في الأنا، وهي خصائص إيجابية تميز الطلاب المتفوقين دراسياً.. فضلاً عما سبق فإن الطالب في حاجة إلي التراكم الكمي والكيفي للخبرات والانفتاح بوعي علي محددات الواقع المعاش وموضوعاته ففي أحد الدراسات التي أجريت علي مجموعة من الطلاب المتفوقين دراسياً قام بها الباحث **Walker 1995** ومعه مجموعة من الباحثين ، أشارت الدراسة إلي أن الطلاب المتفوقين دراسياً كانت معلوماتهم ووعيهم بالطبيعة النوعية للموضوعات والأحداث المجتمعية أكبر بكثير "فروق داله إحصائياً" بالمقارنة بالمتخلفين دراسياً، كذلك كانت خبراتهم وممارساتهم في الأنشطة المجتمعية أكثر من قرنائهم المتخلفين، إن هذه النتيجة البحثية تدعونا إلي ضرورة دفع الطلاب إلي الوعي والانفعال بقضايا الواقع ومحدداته، من خلال مايطرح عليهم من موضوعات علمية، فالعلم لاينفصل عن الواقع، بل هو المعدل والمغير لهذا الواقع بغرض تطويره والارتقاء به.

وإذا كان الوعي والاهتمام بضرورة تضمين مفردات الواقع واستيعاب مشكلاته وأحداثه داخل المناهج والمقررات الدراسية أحد العوامل التي قد تدفعنا إلي الأمام في سبيل صناعة التفوق لدي أبنائنا من الطلاب، فإنه ينبغي الأخذ في الاعتبار كذلك أن التفوق في حاجة إلي بيئة أسرية تحتويه وتدعمه.

ففي دراسة أجرتها الباحثة **Linda1991** علي مجموعتين من أولياء الأمور أحدهما لأبناء متفوقين دراسياً والأخرى لمتخلفين دراسياً، أشارت نتائج الدراسة أن آباء وأمهات المجموعة الأولي كانوا اكثر تشجيعاً لأبنائهم وتدعيماً لهم، وإشاعة جو من مشاعر الدفء نحوهم، وذلك علي العكس من أفراد المجموعة الأخرى.

ولعل التفسير المطروح في هذا الصدد أن الابن قد يميل إلي تكرار المواقف والأحداث التي تترك في الآخر "خاصة الوالدان" أثراً طيباً، وبمرور الوقت تدخل هذه المواقف في دائرة العادة، الأمر الذي يؤدي إلي تثبيتها ومن ثمة قد تصبح سمة من سماته الشخصية، فالتدعيم الإيجابي يجعل الابن في حالة من الرغبة في تحقيق توقعات الآخرين فيه، فاحتضان التفوق والإبداع لابد أن ينطلق من البيئة الأسرية، ولن يحدث ذلك إلا في ظل آباء وأمهات لديهم قدر ما من الوعي بأهمية التدعيم والتعزيز كآليات إيجابية في عمليات التنشئة الوالدية للأبناء ، مع الابتعاد عن كافة إشكال السلوكيات التي تعكس بدورها الإهمال والنبذ والإحباط والعنف والتذبذب، لأن كل هذه النماذج السلبية من أساليب المعاملة الوالدية قد تؤدي إلي تشويه صورة الذات ، وافتقاد القدرة علي الحكم بشكل إيجابي علي محددات الواقع، مما يجعل الابن أكثر اقتراباً من الاضطراب، ومن ثم الدخول في دائرة التخلف الدراسي.

ولعل الدليل علي ذلك أن الدراسات التي أجريت علي المتخلفين دراسياً أشارت إلي ميل هؤلاء الطلاب إلي السلوك الجانح، نظراً لسوء المعاملة الوالدية التي تم تنشئتهم من خلالها.

.(Tcemblay : 1992)

ولكي نضمن تفوقاً دراسياً لابنائنا الطلاب، علينا أن نركز في أساليب التعامل معهم سواء داخل نطاق الأسرة أو المؤسسة التعليمية (مدرسة، جامعة) وتنمية خصائصهم الشخصية مثل الفردية وتحمل المخاطرة والبحث عن الإثارة، ففي دراسة قام بها الباحثان Kari Dfronk 1995 علي عينه من الطلاب المتفوقين والمتأخرين بالمعاهد والكليات ومن خلال تطبيق اختبار 16 PF (كاتل) . أشارت النتائج أن المتفوق دراسياً يشعر بفرديته وذاته المستقلة بالمقارنة بالمتخلف دراسياً، وأشارت الدراسة إلي أن المتفوق دائماً ما يسعي من خلال حواراته ومناقشاته إلي طرح رؤاه الذاتية، وأفكاره الخاصة، مع عدم الوقوع في الأسر المطلق للمسايرة والانصياع ، مع الميل إلي الأقدام علي الموضوعات والأحداث التي تنطوي علي قدر مرتفع من الإثارة والمخاطرة .

إن هذه المؤشرات تطالبنا بضرورة أن تكون المناهج الدراسية والموضوعات العلمية والبحثية تخاطب مالدي الأفراد من استعدادات وقدرات ذاتية وفردية في نفس الوقت الذي تركز فيه علي العموميات، فنظم التعليم القائمة علي حفظ المعلومات واستدعائها،

لا تتيح في الغالب للأفراد فرصة إظهار ما لديهم من قدرات إبداعية لدي الطلاب (أصالة / مرونة / طلاقه).

تشير أحد الدراسات التي قام بها الباحث Shaughnessy 1989 علي مجموعة من طلاب المعاهد العليا من المتفوقين والمتآخرين دراسياً، ان البروفيل الخاص بالجوانب الشخصية للطالب المتفوق يبدو مختلفاً بعض الشئ " عن قرينة المتأخر دراسياً " فروق دالة إحصائياً" علي عدة أبعاد ومتغيرات بحثية نفسية، يتصدرها تقدير الذات Self – steem، والتقبل الأسري، والتنافس الأكاديمي، والأمن الذاتي ، والعلاقة الإنسانية المشبعة مع الأقران، أن هذه النتائج تضفي بعداً جديداً إزاء رغبتنا في إرساء ملامح التفوق لدي أبنائنا من الطلاب، من حيث الاهتمام بهم كذوات فاعلة وليست منفذة فقط، لابد أن يتاح لهم فرصة التعبير الحر عن ذواتهم بعيداً عن الممارسات القمعية معهم، لأن تقدير الذات لايأتى إلا من خلال ترك الفرصة للفرد لكي يعبر عن أفكاره وآرائه وتصوراته، دون أن يصاحب ذلك الأساليب الإحباطية، القائمة علي الصد والعزوف والإهمال واللامبالاه، فالفرد يشعر بتقديره لذاته، حينما يري تخارجاته السلوكية والمعرفية تلقي الاعتراف والقبول والتقدير من خلال الآخرين المحيطين به سواء في مجال الأسرة أو المجال الدراسي.

وهذه المسئولية قد تقع في جانب كبير منها علي الكبار الذين يتولون مهمة التنشئة والتدريب والإعداد للطلاب، فالأساتذة والآباء والأمهات "شريحة الكبار" لابد أن يعوا أن السبيل لتكوين ذات إيجابية لدي الأبناء يتطلب منهم القدرة علي الإنصات لهم وفتح قنوات الحوار معهم، والتسليم بصحة أفكار الأبناء إذا كانت ترقي إلي المستوي المطلوب، وتفعيل ذلك بشكل اجرائي، حينئذ يبدأ الابن في إدراك ذاته بشكل فعال.. الأمر الذي يسهم بعد ذلك في علاقته بالعلم وكافة محدداته بشكل أكثر إيجابية، كذلك تشير الدراسة السابقة إلي أن التقبل الأسري أحد المحددات التي تميز خصائص الطالب المتفوق دراسياً ، وهذه النتيجة المنطقية تطالبنا بضرورة إرساء ملامح المعاملة الوالدية الإيجابية مع أبنائنا، القائمة علي المودة والتسامح والتقبل، بعيداً عن كافة أساليب الكراهية والعنف والاستبداد بالرأي والسلوكيات الجانحة، فالطالب حينما يشعر بدفء المعاملة الأسرية له، فإنه سرعان ما يبادل الكبار نفس المشاعر، ويصبح حينئذ في حالة من التأهب للإتيان بكل السلوكيات المرُضية "الإيجابية، حتى يشبع توقعات أفراد أسرته فيه، ويأتي التفوق الدراسي أحد هذه التوقعات، كذلك أشارت الدراسة السابقة إلي البعد الخاص بالمنافسة، فالتمايز والتفرد قد يظهران بصورة واضحة في حال إقدام الفرد علي المنافسة مع آخرين يشاركونه نفس الخصائص، من هنا تستدعي الضرورة وضع المنافسة في دائرة اهتمام القائمين علي أمر التعليم والتدريب الأكاديمي، مع كل ما

يصاحب ذلك من تفعيلات "إثابة / تدعيم/ مؤازرة..) فإذا شعر الأفراد جميعاً بأنهم ذو مستوي واحد، لإنعدمت تباعاً الفاعلية للتفوق والتمايز ، وهذا الأمر في حاجة إلي تدريب مكثف علي كيفية إدارة المنافسة، حتى لا ينقلب الأمر إلي مجرد صراع سلبي.

وفي هذا الصدد تشير دراسة قام بها الباحث **Janos 1986** وآخرون إلي أن المتفوقين دراسياً كانوا أكثر نضجاً في إدارة الصراع بشكل إيجابي ، نظراً لتمتعهم بمعدلات مرتفعة من النضج الفكري والانفعالي ومما يدعم صحة هذه النتيجة ما أسفرت عنه دراسة كل من **Kumar &Rajiv 1983** والتي أشارت بدورها إلي أن المتفوقين دراسياً كانوا أكثر تميزاً بالمقارنة بالمتأخرين خاصة في درجاتهم علي أحد اختبارات الشخصية التي تقيس الحاجة إلي السيطرة، وتبدو هذه النتيجة منطقية في ظل المؤشرات السابقة، فتقدير الذات المرتفع قد يدفع بالطالب إلي المنافسة والدخول في الصراع الإيجابي بغرض تحقيق أهدافه المنشودة وتحقيق السيطرة .

وغني عن التوضيح أن الطلاب المتفوقين دراسياً قد يكونوا أقل قلقاً وأكثر ذكاءً وأكثر قدرة علي التكيف مع ارتفاع مستوي الطموح لديهم.

وهذه المؤشرات خرجت بها دراسة **Tewari 1976** وهي تدفعنا تباعاً إلي ضرورة توخي الحذر في كل المعاملات التي من شأنها أن تفجر القلق المرضي لدي الطالب، ذلك القلق الذي يعوق

قدرة الفرد علي مواصلة تفعيلاته الإجرائية الإيجابية ، ويحول بنيه وبين تحقيق أهدافه بشكل منطقي وعقلاني.

فالتفكك الأسري، والإحباطات المادية، وعدم إشباع الحاجات الأولية، وسوء المعاملة الإنسانية، كل هذه الأبعاد وغيرها الكثير قد تسبب التوتر والقلق لدي الطالب، مما يقف حائلاً دون التفوق الدراسي المنشود، فالتفوق الدراسي من هذا المنظور لايقتصر علي العملية التعليمية فقط، وإنما يمتد ليشمل كافة المصادر والأشخاص والموضوعات ذات الصلة بالطالب سواء كانت مؤثرات خارجية أو دوافع ذاتيه، أما عن متغير الطموح وارتباطه بشكل إيجابي ودال مع التفوق فهذا أمر تدعمه التحليلات المنطقية ، فالطالب الذي لديه تصوراً واضحاً لطموحاته وأهدافه المستقبلية ، وفي نفس الوقت لديه الوعي والاستبصار الذاتي بقدراته وإمكاناته علي تحقيق هذه الطموحات، وفي نفس الوقت يملك التقدير الإيجابي لذاته، ولديه القدرة علي الأرجاء والانفعال المتزن، يصبح قادراً بالضرورة علي التفوق وتحقيق التمايز الأكاديمي.

فضلاً عما سبق فقد أشارت الدراسات إلي أن وجهة الضبط لدي الطالب المتفوق دراسياً دائماً ما تميل إلي التوجه الداخلي علي حين أن التوجه لدي الطالب المتأخر دراسياً غالباً ما يكون خارجياً، (الزهرانى ١٩٨٩).

وهذه النتيجة بدورها تطالبنا في إطار علاقتنا كأباء وأمهات وككبار بصفة عامة بأبنائنا إلي ضرورة التعامل مع الأبناء ليس من منطق الإجبار والاستبداد والرغبة في خضوعهم لما نمليه عليهم من أوامر ونواهي، وإنما من خلال الإقناع والاقتناع وتبادل وجهات النظر، فمثل هذه الأسلوب الأخير يجعل الابن يستدمج بشكل جيد النماذج الناضجة من الكبار، ومن ثم بداية تكوين وتشكيل الضمير، الذي يتولى بعد ذلك دفع الفرد للتصرف من تلقاء نفسه بشكل إيجابي بعيداً عن المصادر الخارجية للتهديد.

فالافتراض النظري القائل بان الطالب دائماً وبشكل مطلق هو الجانب المتلقي فقط للمعلومات والمعارف، دون النظر إليه بوصفه قادراً علي الإضافة والتعديل وطرح البدائل، إن هذا الافتراض دائماً ما يدفع الكبار في إطار تعاملهم مع الطلاب إلي اعتبارهم مصادر آلية لتكرار ما يلقي عليهم فقط، إلي الحد الذي تعد فيه محاولة الطالب الإضافة أو التعديل أو حتى طرح وجهات نظر متعددة، نوعاً من الخروج عن النص، الذي يجابه في الغالب من قبل الآباء والأمهات والمعلمين بنوع من الاستهجان، وبمرور الوقت يترسب في ذهن الطالب أن ما يحصله فقط هو المطلوب، وليس من الضروري إعمال العقل، وانما الاعتماد علي النقل هو السبيل للحصول علي التدعيم من قبل الكبار، وبمرور الوقت تتحول الأوامر والنواهي من جانب الكبار إلي وجهه ضبط خارجية بصفه

مستمرة مما يحول دون إمكانية تفجر الطاقات الإبداعية والتمايز الفردي.

فنحن في حاجة لان نتيح لأبنائنا فرصة التعبير والمناقشة بعيداً عن أجواء الاستبداد والتسلط، ولن يتأتى ذلك الأمر إلا بعقد المزيد من الدورات التدريبية للمعلمين عن كيفية التفاعل الدينامى مع الطلاب، والتدريب علي معرفة السمات والخصائص المميزة لهم ، ومن ثم وضع إستراتيجيات أكثر فعالية أثناء التعامل معهم.

فصناعة التفوق لدي الطالب تستلزم ضرورة الإحاطة بأكثر من متغير، يتصدرها المعلم ثم الطالب ثم الإمكانات التعليمية من مناهج ومقررات ووسائل تعليمية وابنية وأدارات تعليمية.. فالطالب الذي يملك الاستعدادت للتفوق من قبيل الواقعية والمسئولية الاجتماعية والذكاء والانتماء ومستوي الطموح والحاجة للإنجاز والثبات الانفعالي وتقدير الذات ووجهة الضبط الخارجية كما أشارت إلي ذلك نتائج الدراسات العديدة كما أسلفنا، كل هذه الخصائص قد تصبح معطله وغير فعاله في ظل تسلط وجمود وإنعدام المرونة من المعلمين .. وفي ظل إحباطات مستمرة تتصل بكثافة الاعداد وضعف وسائل الإيضاح ، والتضخم الهائل في المعلومات، وركاكه أساليب التقويم .. الخ.

ويظل السؤال المطروح كيف نحقق التفوق لدي أبنائنا من الطلاب وهناك شريحة كبيرة من المعلمين لا يعترفون بمبدأ الفروق

الفردية لدي الطلاب وتباينهم من حيث الخصائص الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية، ودون محاولة للوقوف علي هذه التباينات فإن الموقف التعليمي يفتقد بدوره لأهم ركن فيه وهو التفاعل مع الطلاب وفقاً للمعرفة بالخصائص والسمات والقدرات، كذلك علي شريحة المعلمين إدراك أن وسائل التعلم لابد أن تتناسب والطبيعة النوعية لخصائص الطلاب، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت هناك مؤشرات واضحة تميز كل طالب حتى يتسنى اختيار وسيلة التعليم التي تتناسب معه .. وكيفية إثارة دافعيته، وكيفية مساعدته علي تحقيق طموحاته وأهدافه .. فالتعامل مع الطلاب وكأنهم شريحة واحدة متجانسة "القولبة" .. لن يخلف وراؤه سوي انخفاض المستوي وضعف الأداء .. فالاختلافات بين الطلاب قد تكون نتيجة لإعتلال الجوانب العضوية والصحية من قبيل إصابة الطالب ببعض الاضطرابات التي تحول بينه وبين الإدراك الجيد (ضعف السمع / ضعف البصر) أو الاضطرابات العضوية الفسيولوجية مثل "اضطراب إفراز الهرمونات، ضعف وقصور عمل بعض الأجهزة مثل الجهاز العصبي أو الهضمي أو الدوري) .

وهذه التباينات في حاجة إلي مواجهة قبل المطالبة بضرورة رفع المستوي الدراسي للطالب، إذ كيف يتسني للطالب التفوق والتمايز الفردي الدراسي، وهو يعاني في نفس الوقت من الهزال وضعف البنية والإنهاك.

فكل هذه المحددات قد تجعل الطالب أقل نشاطاً، وأكثر ميلاً إلي العزلة ، وضعف المشاركة الصفية، مما ينعكس في النهاية بالسلب علي مستواه الدراسي .. فالعلاقة بين الاضطرابات العضوية والنفسية علاقة ارتباطيه دالة، فالاضطراب العضوي يجعل الطالب أكثر تحوصلاً حول ذاته، وأكثر انشغالاً بأعراضه المرضية ، مما ينعكس علي عدم قدرته علي التركيز والانتباه وبالتالي علي كافة العمليات العقلية العليا التي تمثل العمود الفقري في عملية التحصيل الدراسي "الفهم الاستنتاج، الاستقراء، الاستدلال، التحليل.. الخ) .. أن هذه النتيجة تطالبنا بضرورة التركيز علي مفهوم الصحة المدرسية، وإعطائها صلاحيات أكثر فعالية في الكشف عن تلك الحالات، والبدء في علاجها ومتابعتها، إذا أردنا تحقيقاً الحد الأدنى من عمليات الفهم ومتابعة آليات التعلم بوسائله وأهدافه المتعددة.

وإذا نحينا الجوانب الصحية للتلميذ جانباً وانتقلنا إلي محدد آخر يتصل بالمناهج والمقررات الدراسية لوجدنا أن وجود ذلك الكم الهائل من المعلومات والمعارف "الحشو المعلوماتي" قد يعوق قدرة الطالب علي الاستيعاب، ولايبقي أمام الطالب حينئذ إلا خياراً واحداً من أثنين .. إما الحفظ والتلقين للمعلومات دون دراية بالتفسيرات والتعليلات المرتبطة بها .. أو محاولاته البائسة لإعماله العقل في ذلك الكم الكبير من المعلومات، وهذا أمر لايمكن تحقيقه إجرائياً، خاصة في ظل التكدس الرهيب في أعداد الطالب ومن ثم انتفاء الفرصة للمناقشة والجدال، وإظهار القدرات الخاصة، هذا فضلاً عن

التأهيل المسبق للمعلمين والذي يفتقد في الغالب التدريب علي المهارات الخاصة بالتفاعل ومعرفة التباينات في الخصائص بين الطلاب بشكل علمي موضوعي، فالدعوة إلي الكيف لا تتعارض مع قضية الكم في المعلومات، شريطة تحقيق التوازن بينهما بما لا يخل بالسلب علي أي من الجانبين .

فالكم الكبير من المعلومات يمكن استيعابه إذا تخلصنا من الشكل التقليدي للحصة أو المحاضرة، وذلك عن طريق أسلوب "ورش العمل" **Work. Shop**، حيث يقوم مجموعة من المعلمين في تخصص ما بعمل دورات تدريبية للطلاب، يترك لهم من خلالها الحرية في التفكير فيما حصلوه من معلومات ومعارف، يناقشون ويستفسرون ويطرحون رؤاهم، مع تدعيم هذه المناقشات بكافة الأساليب الأجرائية من قبيل الزيارات الميدانية، حينئذ تتحول المعلومة العلمية النظرية إلي واقع فعلي تجسيدي، مما يؤدي إلي تثبيتها وتدعيمها من خلال محددات واقعية غير متخيلة، ودون الاقدام علي تلك الخطوة تظل المعلومات العلمية حبيسة الذاكرة فقط دون أن تتاح لها إمكانية اختبار الواقع **Realty Testing** .. فكم من الطلاب الخريجين يشعرون بضآلة معارفهم، حينما يصطدمون بسوق العمل والعماله .. وكأنهم يواجهون موضوعات جديدة، ويكون مصيرهم الفشل الإجرائي في التعامل معها ، فالموقف التعليمي موقفاً حياتياً وواقعياً، إذا فصلناه عما يدور في المجتمع من

قضايا وأحداث وتطورات، علينا حينئذ مواجهة شتي ألوان الازدواجية وانعدام الفعالية..

إذا كنا قد ركزنا علي كفاءة وتأهيل المعلم كأحد أركان صناعة التفوق الدراسي، وإذا كنا قد ركزنا كذلك علي الجوانب الصحية والعضوية للطالب بوصفها الأساس الذي يمكن من خلاله الانطلاق إلي كفاءة مرتفعة في العمليات العقلية والذهنية، وإذا كنا كذلك قد ركزنا علي كم وكيف المعلومات وكيفية تحقيق التوازن بين كثرة المعلومات ونوعيتها من حيث التركيز علي الجوانب الإجرائية أثناء عملية التدريس، فإن هناك جانباً آخر قد يؤدي التقصير فيه أو عدم الاهتمام به إلي التأثير السلبي علي عملية التفوق أو التأخر الدراسي، وهو اتجاهات الأسر من عملية التحصيل.

فالأسر التي لاتولي محددات التعليم أهمية مناسبة ، قد ينعكس ذلك الاتجاه السلبي علي أبنائها من حيث انعدام دافعيتهم وقصور نموهم المعرفي وتضاؤل مستويات طموحهم، فقد أشارت الدراسات العديدة التي أجريت علي الطلاب المتأخرين دراسياً وجود عوامل أسرية من قبيل التفكك والانفعالات والمشاجرات والإدمان وتدني المستويات الاقتصادية، فكل تلك العوامل مجتمعة أم منفصلة ، قد تؤدي إلي إصابة الطالب بالإحباط والتوتر، ومن ثم تقليص فرص اهتمامه بالتعليم ومحدداته، ونظرة إلي إعداد المتسربين من المدارس

للالتحاق بالأعمال والمهن البسيطة، خير دليل علي ذلك الاتجاه الأسري الرافض لعملية التعليم.

فالمعاملة الوالدية مع الطالب لاينبغي إهمالها أو الانتقاص من قدرها أثناء عرض "صناعة التفوق" .. فالطالب الذي يعامله والداه بالإهمال والعنف واللامبالاه ولايتابعونه ولايستفسرون عن أحواله، ولايدعمونه ولايوجهونه، سيجد نفسه في النهاية محبطاً، خاصة أن سلوك الفرد إنما يكتسب مشروعيته من خلال مواقف الآخرين منه إما تدعيماً أو رفضاً.

فالطالب الذي يلقي الاهتمام من قبل والديه بتعليمه ودراسته سيكون أكثر حرصاً علي الارتقاء، وتقديم مؤشرات إيجابية إشباعاً لتوقعات والديه فيه، والعكس يبدو صحيحاً في نفس السياق المطروح يبقي أخيراً أحد العوامل الهامة في صنع التفوق وهو رؤية المجتمع للفرد المتعلم ومدي كفاءته في فرض وجوده علي الساحة المجتمعية، فالمعايير والمحكات المجتمعية تصبح بمثابة الفيصل الذي يحكم الفرد علي سلوكه وتفعيلاته من خلاله.

فإذا كانت هذه المعايير تعطي أهمية ملائمة ومناسبة للتعلم والمتعلمين، توقعنا علي الجانب الآخر زيادة الاهتمام بهذه العملية وتداعياتها، وإذا كان العكس هو الصحيح ، فعلينا تباعاً توقع كل ما من شأنه أن يساير تلك المقدمات السلبية، فنحن في حاجة لإعلاء كلمة العلم، وعدم الربط بينه وبين الثراء والاكتفاء المادي ، فحينما

سادت لغة المادة وأصبحت لها اليد الطولي في تمايز الأفراد وفرديتهم، تراجعت لغة العلم إلي المرتبة الثانية، فكيف أذن يمكن شحذ دافعيه الطالب إلي التفوق والبروز العلمي، وهو يعلم أنه سينضم إلي قافلة العاطلين عقب تخرجه، أو قيامه بالعمل في مجال لا يتصل من قريب أو من بعيد بما درسه وأفني فيه سنوات طويلة من عمره؟

(ورشة عمل)

عزيزي الطالب .. عزيزتي الطالبة

بعد قراءة الجزء الخاص بكيفية صناعة التفوق الدراسي ومحدداته.. برجاء التكرم بالإجابة علي التساؤلات التالية ..

١ – ماهو مفهوم التفوق الدراسي من وجهة نظرك؟

٢ – ماهي العقبات التي تقف أمامك وتحول دون تحقيق تفوقك العلمي.

(أ) خصائص في الطالب

١ –

٢ –

٣ –